مهرجان الكرازة المرقسية ٢٠١٨

كونوا .. مستعدين

(مت ٢٤: ٤٤)

المرحلة الجامعية

المسابقات

الدراسية - البحوث - الألحان والتسبحة - اللغة القبطية - الأنشطة الكنسية
الأدبية - الثقافية - الفنون التشكيلية - الكمبيوتر - الإعلامية
الإبتكارات الهندسية والعلمية - قلب واحد - الرياضية

أولاً المسابقة الدراسية

١ كونوا.. مستعدين

(مت ٢٤: ٤٤)

- "كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مُسْتَعِدِّينَ، لأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لاَ تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الإِنْسَانِ" (مت ٢٤: ٤٤).

حقائق أكيدة

هناك حقائق أكيدة نؤمن بها جميعًا مثل:

١- أن الله موجود، خالق هذا الكون، وسر وجودنا، وخلاصنا، وخلودنا.

٢- أن الله خلق آدم وحواء، من تراب الأرض: "وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً" (تك ٢: ٧).

٣- "وَغَرَسَ الرَّبُّ الإِلَهُ جَنَّةً فِي عَدْنٍ شَرْقًا، وَوَضَعَ هُنَاكَ آدَمَ الَّذِي جَبَلَهُ" (تك ٢: ٨).

٤- "وَأَنْبَتَ الرَّبُّ الإِلَهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةٍ لِلأَكْلِ" (تك ٢: ٩).

٥- "وَشَجَرَةَ الْحَيَاةِ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ، وَشَجَرَةَ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ" (تك ٢: ٩).

٦- "وَكَانَ نَهْرٌ يَخْرُجُ مِنْ عَدْنٍ لِيَسْقِيَ الْجَنَّةَ" (تك ٢: ١٠).

٧- "فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الإِلَهُ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَنَامَ، فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلاَعِهِ وَمَلأَ مَكَانَهَا لَحْمًا. وَبَنَى الرَّبُّ الإِلَهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ" (تك ٢: ٢١-٢٢).

٨- "فَقَالَ آدَمُ: هَذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هَذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍ أُخِذَتْ" (تك ٢: ٢٣).

٩- "لِذَلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا" (تك ٢: ٢٤).

١٠- "وَكَانَا كِلاَهُمَا عُرْيَانَيْنِ، آدَمُ وَامْرَأَتُهُ، وَهُمَا لاَ يَخْجَلاَنِ" (تك ٢: ٢٥).

فماذا فعل الرب يسوع مع آدم وحواء بعد السقوط!!؟

طبيعة جديدة بعد السقوط

١- سقط أبوانا الأولان: آدم وحواء، حينما خدعت الحية حواء بمكرها قائلة: "يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ" (تك ٣:٥).

٢- "فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهْجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ" (تك ٣:٦).

٣- "وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلَهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ.. فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلَهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ" (تك ٣:٨).

٤- "فَنَادَى الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: أَيْنَ أَنْتَ؟" (تك ٣:٩).

٥- "فَقَالَ سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ" (تك ٣:١٠).

٦- فسأله الرب: "مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟" (تك ٣:١١).

٧- "فَقَالَ آدَمُ: الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ" (تك ٣:١٢).

٨- "فَقَالَ الرَّبُّ الإِلَهُ لِلْحَيَّةِ: لأَنَّكِ فَعَلْتِ هَذَا، مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ. عَلَى بَطْنِكِ تَسْعِينَ وَتُرَابًا تَأْكُلِينَ" (تك ٣:١٤).

٩- "وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ" (تك ٣:١٦).

وهذا ما حدث فى صليب رب المجد يسوع، أنه "**سحق الشيطان**"، وأن الشيطان قد جعل اليهود يسحقون **عقب المسيح**، أى ينهشون لحمه بالصليب فتدمى قدماه..

وهكذا:

١- تمت الخليقة. ٢- وجاء السقوط. ٣- والوعد بالفداء والخلاص.

٤- وهذا ما تممه رب المجد فى: **تجسده، وصلبه، وفدائه لنا، وقيامته، وصعوده إلى السموات كسابق لأجلنا.**

٥- **وأرسل لنا المعزى روحه القدوس، وأسس لنا الكنيسة المقدسة**، سفينة النجاة وسور خلاصنا..

٦- ووعد **بالمجئ الثانى** المجيد، "**حيث يأتى بمجده ومجد أبيه، ويجازى كل واحد حسب أعماله**" (القداس الإلهى).

٧- فنصرخ جميعًا: **"كرحمتك يا رب وليس كخطايانا"**.

٨- ونحن بالإيمان، والتوبة، والاعتراف، والإرشاد الروحى، والأسرار المقدسة: **"تثبت فى الرب ويثبت الرب فينا، فتكون لنا الحياة الأبدية"**.

ومن هنا يحرص أبناء وبنات الكنيسة على التناول من جسد الرب ودمه الأقدسين، منذ المعمودية (التى **لا ينبغى تأخيرها** إلا للضرورة، وتحت إرشاد الأب الكاهن).. وهكذا يثبت أعضاء الكنيسة فى الرب، ويثبت الرب فيهم: **"مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِى وَيَشْرَبْ دَمِى يَثْبُتْ فِىَّ وَأَنَا فِيهِ"** (يو ٦:٥٦).

الاستعداد لمجئ المسيح الثانى

تعلمنا الكنيسة ضرورة الاستعداد للتناول من جسد الرب ودمه الأقدسين "مَنْ أَكَلَ هَذَا الْخُبْزَ، أَوْ شَرِبَ كَأْسَ الرَّبِّ، بِدُونِ اسْتِحْقَاقٍ، يَكُونُ مُجْرِمًا فِى جَسَدِ الرَّبِّ وَدَمِهِ" (١كو ١١:٢٧).

ويشمل الاستعداد النواحى التالية:

١- الاستعداد الإيمانى

"إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا أَنِّى أَنَا هُوَ تَمُوتُونَ فِى خَطَايَاكُمْ" (يو ٨:٢٤).

وفى العهد القديم عندما سأل موسى الله عن اسمه **"فَقَالَ اللهُ لِمُوسَى: أَهْيَهِ الَّذِى أَهْيَهْ. وَقَالَ: هَكَذَا تَقُولُ لِبَنِى إِسْرَائِيلَ: أَهْيَهْ أَرْسَلَنِى إِلَيْكُمْ** (أكون الذى أكون Iam That Iam)" **(خر ٣:١٤)** وباليونانى EGO EMI وله مدلوله اللاهوتى (أنا هو أصل الوجود).

فنحن نؤمن بإله واحد، خالق السماء والأرض، وبوعوده فى العهد القديم، والتى تحققت فى العهد الجديد، **فتجسده، وفدائه، وقيامته، وصعوده، ومجيئه الثانى، وحياة الدهر الآتى**.. هذا هتافنا المتكرر فى القداسات، والطقوس، والصلوات الكنسية.. مؤمنين بأنه أيضًا هو إله العهدين: القديم والجديد، **"وأن العهد القديم مكشوف فى الجديد، والعهد الجديد مخبوء فى القديم"** كما علمنا الآباء.

ولذلك نؤمن بأن العهدين كتاب واحد، ووحى واحد **"كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحىً بِهِ مِنَ اللهِ"** **(٢تى ٣:١٦)**، **"بَلْ تَكَلَّمَ أُنَاسُ اللَّهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ"** **(٢بط ١:٢١)**.

وهنا نتوقف أمام بعض إدعاءات العصر الحالى، الذين يحاولون الانتقاص من قدسية العهد القديم، أو بعض أسفاره، ويتجاهلون أن **"كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحىً بِهِ مِنَ اللهِ"** **(٢تى ٣:١٦)**.

٢- الاستعداد العقيدى

إذ ندرس فى كنيستنا (وبالذات فى مهرجان الكرازة المرقسية)، **أهمية:**

- **فهم العقيدة القبطية الأرثوذكسية**، والحفاظ عليها من العبث، وكيفية الرد على البدع الحديثة..
- ونقدم **شرحًا للعقيدة بأساليب مشوقة**، تناسب كل الأعمار المختلفة، والشرائح المتعددة من أبناء وبنات الكنيسة. ونحذرهم من بدعة "**اللاطائفية**" التى تهدف إلى "فسخ" العقيدة القبطية الأرثوذكسية، فيسير أبناء الكنيسة بركائز يعتمدون عليها!! **فيجب علينا:**

فهم **الثالوث القدوس**، ومعرفة **الفروق العقائدية مع الطوائف** الأخرى، **والمفهوم السليم للوحدة المسيحية**، ودور **مجمع نيقية** المسكونى فى تقنين الإيمان، ووضع قانون الإيمان النيقاوى.. وغيرها من الذى تسلمناه "**مَرَّةً لِلْقِدِّيسِينَ**" **(يه ٣:١)** ونسلمه للأجيال نقيًا.. وهذه كلها أمور غاية فى الأهمية سيتم دراستها من خلال المهرجان..

فعقيدتنا القبطية الأرثوذكسية :

١- **عقيدة سليمة** : بمعنى أنها **مضبوطة بالكتاب المقدس والتقليد**، والتدقيق فى موضوع ما: **الأسرار، الشفاعة، الصلاة** من أجل **الراقدين، الأصوام، الأعياد**، وغير ذلك من المواضيع..

وكنيستنا تفخر - بنعمة الله - أنها قدمت للمسيحية **علماء اللاهوت** الذين استطاعوا أن **يقننوا الإيمان المسيحى، والعقيدة السليمة، ويصيغوا قانون الإيمان، وحقائق المسيحية، بأسلوب دقيق** شهد له العالم المسيحى آنذاك، وما يزال!! ولعل عودة العائلتين الأرثوذكسيتين إلى "صيغة كيرلس الاسكندرى" كانت، وسوف تكون، سببًا فى الوحدة بين العائلتين الأرثوذكسيتين: **طبيعة واحدة لكلمة الله المتجسد..** فكنيستنا القبطية أدق كنيسة فى العالم.

٢- **وعقيدة مستقيمة** : وأقصد بذلك أنها لم **تمل يمنة أو يسرة.. بدأت من عصر الرسل، وحتى الآن، فى خط مستقيم**، محافظ بدون أدنى انحراف، البعض انحرفوا يمينًا، واحتج عليهم بعض منهم فانحرفوا يسارًا، فإذ **ما جلسوا وتقاربوا للحوار**، فسيجدون الجذور الأرثوذكسية ملجأ وملاذًا!! لا ندعى شيئًا متميزًا فى أشخاصنا، ولكن لأننا لم ننحرف لا يمينًا ولا يسارًا.. إنها طبيعة الأشياء، وحركة التاريخ!!

٣- **وعقيدة شاملة** : فهى **لا تميل إلى المبالغة فى أمر على حساب الأخر**، فنراها تتحدث عن **الإيمان** دون أن تهمل **الأعمال**، وتكرم **العذراء** دون أن ترفعها إلى مصاف **الألوهية**.. وتسمح **بقراءة الكتاب المقدس** والتأمل فى كلماته، دون أن تعطى لكل فرد حرية التفسير، **فالمسيحية لن تبدأ بنا**.. وتعطى **الكهنوت** سلطة وكرامة، دون أن تغمط الشعب حقه فى صنع القرار الكنسى.. تتحدث عن **النعمة** وتتحدث عن **الجهاد** أيضًا.. وهكذا فى شمول يعطى المسيحية صورتها الشاملة المتكاملة.

٤- **وعقيدة كتابية** : فمع أن الكنيسة القبطية كنيسة **تقليدية، تؤمن بأهمية التقليد الكنسى**، وأن **الكتاب نفسه هو عطية التقليد وجزء منه**، إلا أنها تؤمن أن **الكتاب المقدس هو الحكم على كل عقيدة أو تقليد أو طقس**.. لهذا فكل عقائد كنيستنا كتابية.. **مئات الآيات للأسرار والشفاعة والتقليد وتطويب العذراء ومسحة المرضى بالزيت والكهنوت والمذبح**.. الخ.

لاشك أن عقيدة كنيستنا القبطية **الأرثوذكسية، هى الفهم السليم للكتاب والحياة، ولا نقصد بذلك تعصبًا، ولكنه التراث الذى تسلمناه من الآباء دون زيادة أو نقصان. لقد عاش آباؤنا المسيحية والإنجيل والمجتمع، ونحن ندرس حياتهم وأقوالهم وتفسيراتهم للكتاب المقدس ولاهوتياتهم، وعقيدتهم، ونجتهد أن نستمر فى نفس الطريق: "انْظُرُوا إِلَى نِهَايَةِ سِيرَتِهِمْ فَتَمَثَّلُوا بِإِيمَانِهِمْ"** (عب ١٣:٧).

وهكذا إذ نضرب بجذورنا فى عمق التاريخ، وفهم وسلوك الآباء، ترتفع الساق إلى فوق، وتورق وتزهر وتثمر لمجد السيد المسيح.. وبناء ملكوت الله "**مِئَةً وَآخَرُ سِتِّينَ وَآخَرُ ثَلاَثِينَ**" **(مت ١٣:٢٣)**.

٣- الاستعداد الروحى

الروح هى العنصر الذى وضعه الله فى الإنسان، والذى من خلاله يتصل الإنسان بالله، وبالإيمانيات، وعالم الروح. فاحذر أن يضمر هذا العنصر فى حياتك بسبب الإهمال الروحى.. فلذلك حرصت الكنيسة أن تجعل أولادها فى اتصال وشبع دائم من خلال: (**الصلاة - الصوم - الكتاب المقدس - الإفخارستيا - القراءات الروحية - الإجتماعات الروحية - الخدمة - التسبحة اليومية... الخ**). وأن تعدهم لحياة البذل، واحتمال التجارب، والآلام من أجل المسيح والكنيسة المقدسة.

٤- الاستعداد الكنسى

- **أى الالتزام بالحياة الكنسية :** شخصيًا، وأسريًا، وكنسيًا، وبالهُوية القبطية.. فيتعرف الطفل والفتى والشاب على تاريخ كنيستنا المجيد، وآبائنا العظام حافظى الإيمان مثل: **(البابا أثناسيوس الرسولى - البابا كيرلس الكبير - البابا ديسقورس - البابا شنوده)** وما كتبوه وسجلوه بحياتهم.
- **فالطقوس ترجمة للحياة :** فكنيستنا المجيدة فيها **طقس** حىّ، مشبع: **فكريًا ووجدانيًا وروحيًا،** والطقس فى الكنيسة هو **وعاء العقيدة،** ليس فقط من جهة المحتوى التعليمى الذى تقدمه لنا الكنيسة فى كل طقس، ولكن أيضًا كتعبير وجدانى وروحانى وذهنى عن مدلول هذا الطقس فى حياتنا الداخلية والخارجية.. وأيضًا **العضوية الكنسية** التى هى اتحاد بالمؤمنين (على الأرض) والقديسين (فى الفردوس) ورب المجد، رأس الكنيسة وعريسها السماوى.

٥- الاستعداد للخدمة

إذ نحتاج إلى خادم كنسى، مستقيم الإيمان، والمعتقد، والحياة اليومية..

وأهم ما يجب أن نعرفه، أن الخدمة - رغم أنها عطاء للآخر - إلا أن لها بالضرورة مردود على صاحبها ومقدمها، "**النَّفْسُ السَّخِيَّةُ تُسَمَّنُ وَالْمُرْوِي هُوَ أَيْضًا يُرْوَى**" (أم١١:٢٥). أى أن الخادم هو المستفيد الأول من خدمته. من لا يخدم سيكون مثل البير الراقدة.

ويوجد أساليب متعددة للخدمة كما رسمها لنا الرب يسوع، والكتاب المقدس مثل: **(خدمة التعليم - خدمة الافتقاد - خدمة الصلاة - خدمات المحبة.. الخ).**

فالإنسان الذى لا يعطى يشبه بئرًا راكدة، لا يتجدد مياهها، سرعان ما تصاب بالعطب. لذلك يجب أن نخدم بكل طاقاتنا، لمجد الرب، وامتداد ملكوته، ونمو حياتنا الشخصية، وبناء ملكوت الله.

٦- الاستعداد الأبدى

فهدفنا اليومى هو: "**وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى**".

إن كل سعى الإنسان المسيحى سينتهى عند هذه النقطة، **نقطة الحصاد،** حين يجئ الرب يسوع مرة ثانية، بطريقة ظاهرة، حيث "**يَأْتِي مَعَ السَّحَابِ، وَسَتَنْظُرُهُ كُلُّ عَيْنٍ..**" (رؤ١:٧). وبعكس المجئ الأول حين تجسد وولد من السيدة العذراء متواضعًا.. وخافيًا لاهوته

تدبيريًا من أجل إتمام الفداء "**لأَنْ لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ**" (**١كو ٢:٨**). سيكون المجئ الثانى "**فِى مَجْدِهِ**" (**مت ٢٥:٣١**).. وبطريقة ظاهرة "**بِظُهُورِ مَجِيئِهِ**" (**٢تس ٢:٨**). وإذا كان **هدف المجئ الأول هو الخلاص، فسيكون هدف المجئ الثانى هو الدينونة**. فهو مسئولية هامة أمام كل مؤمن، لذا يجب أن ينتبه كل إنسان إلى حياته اليومية، واعترافاته المنتظمة، وسهره الروحى، منتظرًا ومستعدًا لنهاية العالم أو نهاية الحياة.

وأخيرًا نأتى إلى..

الاستعداد فى الحياة اليومية

يسألون كثيرًا فى أمور كثيرة: هذا حلال أم حرام؟!

وهنا رسم لنا معلمنا بولس الرسول مبادئ التعامل فى الحياة اليومية حين قال:

١- "**كُلُّ الأَشْيَاءِ تَحِلُّ لِى، لَكِنْ لاَ يَتَسَلَّطُ عَلَىَّ شَىْءٌ**" (**١كو ٦:١٢**).

٢- "**كُلُّ الأَشْيَاءِ تَحِلُّ لِى، لَكِنْ لَيْسَ كُلُّ الأَشْيَاءِ تُوافِقُ. كُلُّ الأَشْيَاءِ تَحِلُّ لِى، وَلَكِنْ لَيْسَ كُلُّ الأَشْيَاءِ تَبْنِى**" (**١كو ١٠:٢٣**).

وهى مبادئ ثلاثة للحياة اليومية، إذ أسأل نفسى عند كل تصرف أو قرار أو اختيار:

١- هل هذا الأمر **يوافق**، كابن من أبناء الله؟

٢- هل هذا الأمر **يبنى**، حياتى وأسرتى وكنيستى ووطنى؟

٣- هل هذا الأمر سوف **يتسلط علىّ فأصير عبدًا ذليلاً له: كالتدخين والمخدرات والنجاسة؟!**

وهكذا أتخذ قرارى بالسلوك السليم البنّاء: **لنفسى، وأسرتى، وكنيستى ووطنى.. رافضًا السلبيات من حولى، وكل ما هو ضد الإيمان المسيحى، والكتاب المقدس، والعقيدة المقدسة،** واحذر كل السلبيات "**مواقع الميديا**" "**وشبكات الإنترنت**" "**ومواقع التواصل الإجتماعى السلبى**" "**وأنواع الإدمان المختلفة**": المخدرات، والميديا، والموبايل، والسطحية، والنجاسة.

إذا "جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْىَ، حَفِظْتُ الإِيمَانَ" (٢تى ٤:٧) يحفظنا الرب بيمينه، ويعيننا على خلاص أنفسنا:

بصلوات راعينا الحبيب

قداسة البابا تواضروس الثانى

وأحبار الكنيسة الأجلاء والآباء الكهنة وكل الأمناء والخدام وكل شعب الكنيسة المقدسة..

٢٠ إيد تبنى.. وإيد تصد

الهدف : الأساسات والقواعد اللازم توافرها لبناء حياة روحية.. كعامل أساسى لحياة الاستعداد الدائم.

بعد موت سليمان انقسمت مملكة إسرائيل إلى :

١- **المملكة الشمالية (إسرائيل)** : ١٠ أسباط سباهم الأشوريون عام ٧٢٢ ق.م. قبض شلمنأسر الخامس على هوشع ملك إسرائيل، وسبى إسرائيل فى حلح وخابور نهر جوزان وفى مدن مادى (٢مل ٦:١٧-١٨).

٢- **المملكة الجنوبية (يهوذا)** : تضم سبطى يهوذا وبنيامين، سباهم البابليون عام ٥٨٦ ق.م. قيل عن نبوخذ نصر: "**وَسَبَى كُلَّ أُورُشَلِيمَ وَكُلَّ الرُّؤَسَاءِ وَجَمِيعَ جَبَابِرَةِ الْبَأْسِ، عَشَرَةَ آلاَفِ مَسْبِيٍّ، وَجَمِيعَ الصُّنَّاعِ وَالأَقْيَانِ**" (٢مل ٢٤:١٤)، "**سَبَاهُمْ مَلِكُ بَابِلَ إِلَى بَابِلَ**" (٢مل ٢٤:١٦).

- **فى عام ٥٣٩ ق.م:** هزم الفارسيون بابل، وشجع ملك فارس اليهود على العودة، فعاد حوالى ٥٠٠٠٠ شخصًا ليبدأوا بناء الهيكل، فوضعوا الأساسات ولم يكملوا العمل. بعد ١٦ سنة أرسل الله نبيين هما **حجى وزكريا** لحث الشعب على العمل، لأنهم كانوا قد بنوا لهم قصورًا وبيوتًا وأهملوا بناء بيت الرب.
- **فى عام ٤٥٨ ق.م:** عادت مجموعة أخرى من اليهود تحت قيادة **عزرا** الذى بذل كل الجهد لإصلاح الشعب روحيًا لكنه وجد مقاومة.
- **حوالى عام ٤٤٥ ق.م:** أرسل الله **نحميا**، ودعاه لبناء سور أورشليم المهدم. فبدون السور لا يمكن أن تُحسب أورشليم مدينة. البعض يضع عزرا بعد نحميا، لكن الواضح غير ذلك.
- أتم نحميا العمل فى ٥٢ يومًا بالرغم من مقاومة الأعداء، وتخاذل الشعب. قام ببناء الهيكل بالرغم من مقاومة بنى موآب، وبنى عمون والأشوريين والعرب، كما استعانوا بعد ذلك بالسامريين.

- قاوم نحميا هذه الجيوش بالإيمان بالله، وتحصَّنت أورشليم بعد ١٤٢ عامًا من خرابها عام ٥٨٦ ق.م.

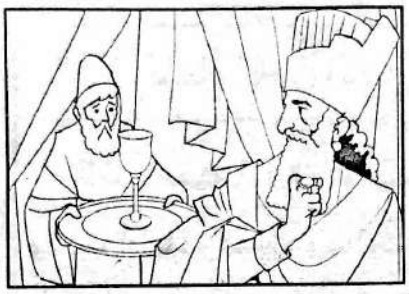

- كان ساقى الملك، يذوق الخمر قبل الملك حتى يطمئن أنه غير مسموم. وكان هذا المركز مرموقًا فى العصر الفارسى، لأن الملك يأتمنه على حياته.
- لم يكن قلب نحميا متكبرًا رغم مركزه المرموق، لكنه كان رجل صلاة، يشعر بالدعوة لخدمة شعبه الذى ضعف روحيًا. كان مستعدًا أن يترك ترف القصر ليذهب إلى شعبه يسندهم فى بناء سور المدينة، كما فى إصلاح الشعب نفسه.
- حقًا لقد استطاع أن يعيد بناء سور أورشليم فى خلال ٥٢ يومًا، وقضى ١٢ عامًا للإصلاح الروحى والاجتماعى (١٤:٥). حقًا.. إن بناء السور يحتاج إلى أيامٍ معدودةٍ لا تتجاوز الشهرين، أما بناء سور النفس البشرية فيحتاج إلى سنوات!
- يقدم لنا سفر نحميا حقيقة الله "**إله المستحيلات**"، العامل فى كل عصور فى الهزيع الأخير، حينما تقف كل الأذرع البشرية فى عجزٍ تامٍ.

جاء اسم "**نحميا**" يكشف عن جوهر السفر كله. فكلمة "**نحميا**" تعنى: "**يهوه هو النياحة أو الراحة أو التعزية**". يدور السفر كله حول **دور الله فى حياة الكنيسة كما فى حياة المؤمن**. فمن يود التعزية الصادقة يلجأ إلى الله واهب التعزية، ويثق فى وعوده، فتفيض التعزيات الإلهية فيه، وتتفجر لتغمر الآخرين أيضًا بها.

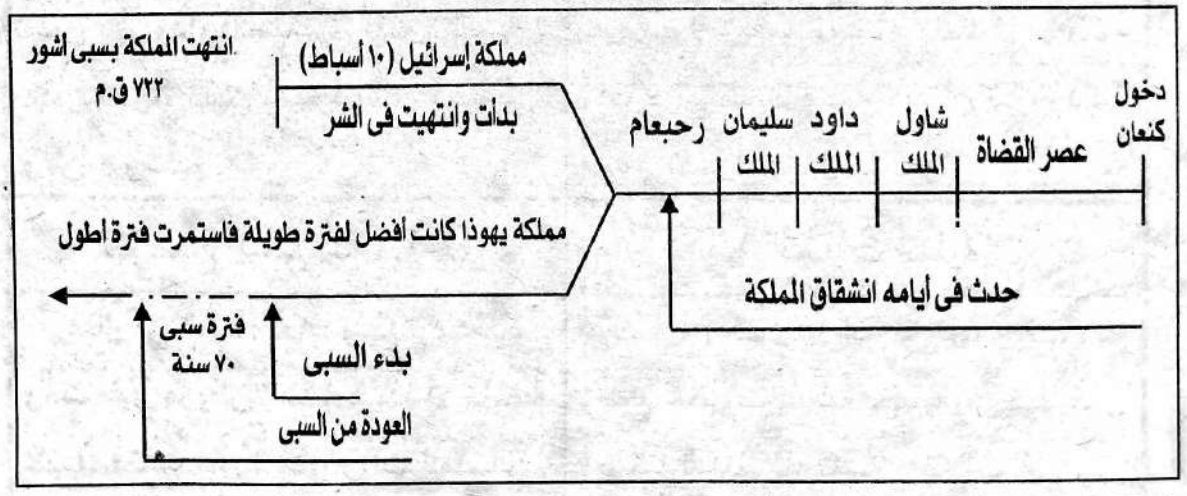

بنـاء الســور :

الإصحاح الأول (نح ١:٤-٦)	١- روح الصلاة، والمعونة الإلهية
"فَلَمَّا سَمِعْتُ هَذَا الْكَلاَمَ جَلَسْتُ وَبَكَيْتُ وَنُحْتُ أَيَّامًا، وَصُمْتُ وَصَلَّيْتُ أَمَامَ إِلَـهِ السَّمَاءِ، وَقُلْتُ: أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهُ السَّمَاءِ، الإِلَهُ الْعَظِيمُ الْمَخُوفُ، الْحَافِظُ الْعَهْدَ وَالرَّحْمَةَ لِمُحِبِّيهِ وَحَافِظِي وَصَايَاهُ، لِتَكُنْ أُذْنُكَ مُصْغِيَةً وَعَيْنَاكَ مَفْتُوحَتَيْنِ لِتَسْمَعَ صَلاَةَ عَبْدِكَ الَّذِي يُصَلِّي إِلَيْكَ الآنَ نَهَارًا وَلَيْلاً لأَجْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَبِيدِكَ، وَيَعْتَرِفُ بِخَطَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّتِي أَخْطَأْنَا بِهَا إِلَيْكَ. فَإِنِّي أَنَا وَبَيْتُ أَبِي قَدْ أَخْطَأْنَا".	محتاجين نبدأ بروح الصلاة كأساس للبناء الروحي السليم.. وطالبين المعونة الإلهية كجزء لا يتجزأ من الطريق الذي نسلكه للوصول للبناء الروحي المنشود.
(نح ١:١-٢)	٢- الدافع داخلي
"كَلاَمُ نَحَمْيَا بْنِ حَكَلْيَا: حَدَثَ فِي شَهْرِ كَسْلُو فِي السَّنَةِ الْعِشْرِينَ، بَيْنَمَا كُنْتُ فِي شُوشَنَ الْقَصْرِ، أَنَّهُ جَاءَ حَنَانِي، وَاحِدٌ مِنْ إِخْوَتِي، هُوَ وَرِجَالٌ مِنْ يَهُوذَا، فَسَأَلْتُهُمْ عَنِ الْيَهُودِ الَّذِينَ نَجُوا، الَّذِينَ بَقُوا مِنَ السَّبْيِ، وَعَنْ أُورُشَلِيمَ".	مهم أن الدافع يكون من داخلنا، وليس مش مجرد رغبة ظاهرية في التغيير والبداية الأفضل.. لكن أيضًا رغبة داخلية لبناء روحي سليم.. فنحميا سأل من نفسه عن أحوال بلده.. فمدينته دائمًا في عقله وفكره **"حياتك الروحية لابد أن تكون دائمًا محور تفكيرك بشكل مستمر".**
الإصحاح الثاني (نح ٢:٢-٤)	٣- خطوات عملية
"فَقَالَ لِي الْمَلِكُ: لِمَاذَا وَجْهُكَ مُكَمَّدٌ وَأَنْتَ غَيْرُ مَرِيضٍ؟ مَا هَذَا إِلاَّ كَآبَةُ قَلْبٍ!. فَخِفْتُ كَثِيرًا جِدًّا، وَقُلْتُ لِلْمَلِكِ:	كما أن التحرك الداخلي مهم.. فالأهم وضع خطوات عملية حقيقية.. حتى يكون تحركنا الداخلي له نتائج إيجابية على

الإصحاح الثانى (نح ٢:٢-٤)	٣- خطوات عملية
لِيَحْيَ الْمَلِكُ إِلَى الأَبَدِ. كَيْفَ لاَ يَكْمَدُ وَجْهِي وَالْمَدِينَةُ بَيْتُ مَقَابِرِ آبَائِي خَرَابٌ، وَأَبْوَابُهَا قَدْ أَكَلَتْهَا النَّارُ؟. فَقَالَ لِي الْمَلِكُ: مَاذَا طَالِبٌ أَنْتَ؟. فَصَلَّيْتُ إِلَى إِلَهِ السَّمَاءِ، وَقُلْتُ لِلْمَلِكِ: إِذَا سُرَّ الْمَلِكُ، وَإِذَا أَحْسَنَ عَبْدُكَ أَمَامَكَ، تُرْسِلُنِي إِلَى يَهُوذَا، إِلَى مَدِينَةِ قُبُورِ آبَائِي فَأَبْنِيهَا".	أرض الواقع.. وبالتالى تحقيق التقدم على مستوى البناء الروحى.
(نح ٢:٧)	٤- التخطيط
"وَقُلْتُ لِلْمَلِكِ: إِنْ حَسُنَ عِنْدَ الْمَلِكِ فَلْتُعْطَ لِي رَسَائِلُ إِلَى وُلاَةِ عَبْرِ النَّهْرِ لِكَيْ يُجِيزُونِي حَتَّى أَصِلَ إِلَى يَهُوذَا".	خطط نحميا ورسم طريقة وطلب رسائل أو توصيات ليقدر أن يمر فى الطريق وتسهل مهمته.. فمهم جدًا وجود التخطيط فى بناء حياتى الروحية.
(نح ٢:١٧)	٥- التحفيز
"ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: أَنْتُمْ تَرَوْنَ الشَّرَّ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ، كَيْفَ أَنَّ أُورُشَلِيمَ خَرِبَةٌ، وَأَبْوَابَهَا قَدْ أُحْرِقَتْ بِالنَّارِ. هَلُمَّ فَنَبْنِي سُورَ أُورُشَلِيمَ وَلاَ نَكُونُ بَعْدُ عَارًا".	التحفيز للبدء فى بناء حياتى الروحية شئ مهم ومحرك أساسى لدفعى نحو الله.
(نح ٢:١٨)	٦- نتاج خبرة الحياة مع الله
"وَأَخْبَرْتُهُمْ عَنْ يَدِ إِلهِي الصَّالِحَةِ عَلَيَّ، وَأَيْضًا عَنْ كَلاَمِ الْمَلِكِ الَّذِي قَالَهُ لِي، فَقَالُوا: لِنَقُمْ وَلْنَبْنِ. وَشَدَّدُوا أَيَادِيَهُمْ لِلْخَيْرِ".	التحرك فى اتجاه بناء حياتى الروحية ليس شيئًا وقتيًا وليد اللحظة.. لكن نتاج علاقتى مع الله الدائمة.. هو قلب ملتهب وغيور على كل ما هو لله ولأولاد الله.

(نح ٢:٥)	٧- Out of comfort zone
"وَقُلْتُ لِلْمَلِكِ: إِذَا سُرَّ الْمَلِكُ، وَإِذَا أَحْسَنَ عَبْدُكَ أَمَامَكَ، تُرْسِلُنِي إِلَى يَهُوذَا، إِلَى مَدِينَةِ قُبُورِ آبَائِي فَأَبْنِيهَا".	نحميا كان له منصب كبير، "فوظيفته كانت ساقيًا للملك وهى وظيفة رفيعة، لكنه فضل أن يرجع لبلد بلا أسوار وهو يعلم أنه سيتعب ويبنى.. لكن دائمًا بناء حياتى الروحية يحتاج للخروج خارج دائرة راحتى لنستطيع البناء فعلاً.. البناء دائمًا ما يحتاج إلى جهد وإصرار.
الإصحاح الرابع (نح ٤:١-٣)	٨- سنقابل عوائق
"وَلَمَّا سَمِعَ سَنْبَلَّطُ أَنَّنَا آخِذُونَ فِي بِنَاءِ السُّورِ غَضِبَ وَاغْتَاظَ كَثِيرًا، وَهَزِأَ بِالْيَهُودِ. وَتَكَلَّمَ أَمَامَ إِخْوَتِهِ وَجَيْشِ السَّامِرَةِ وَقَالَ: مَاذَا يَعْمَلُ الْيَهُودُ الضُّعَفَاءُ؟ هَلْ يَتْرُكُونَهُمْ؟ هَلْ يَذْبَحُونَ؟ هَلْ يُكْمِلُونَ فِي يَوْمٍ؟ هَلْ يُحْيُونَ الْحِجَارَةَ مِنْ كُوَمِ التُّرَابِ وَهِيَ مُحْرَقَةٌ؟".	- الحل: "اسْمَعْ يَا إِلهَنَا، لأَنَّنَا قَدْ صِرْنَا احْتِقَارًا، وَرُدَّ تَعْيِيرَهُمْ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، وَاجْعَلْهُمْ نَهْبًا فِي أَرْضِ لَسَبْيٍ" (نح ٤:٤). - دائمًا نجد القوة عند اللجوء لله بالصلاة. - الاستمرار فى بناء حياتى الروحية بالرغم من أى عوائق.
(نح ٤:٩-١٢)	٩ - إيمان + أعمال
"فَصَلَّيْنَا إِلَى إِلهِنَا وَأَقَمْنَا حُرَّاسًا ضِدَّهُمْ نَهَارًا وَلَيْلاً بِسَبَبِهِمْ.. فَأَوْقَفْتُ الشَّعْبَ مِنْ أَسْفَلِ الْمَوْضِعِ وَرَاءَ السُّورِ وَعَلَى الْقِمَمِ، أَوْقَفْتُهُمْ حَسَبَ عَشَائِرِهِمْ، بِسُيُوفِهِمْ وَرِمَاحِهِمْ وَقِسِيِّهِمْ".	فى بناء حياتى الروحية، مهم جدًا الصلاة بشكل دائم، وأن اقوم بخطوات عملية لنمو حياتى الروحية.

(نح ٤:١٦-١٨)	١٠- الاستعداد
"وَمِنْ ذلِكَ الْيَوْمِ كَانَ نِصْفُ غِلْمَانِى يَشْتَغِلُونَ فِى الْعَمَلِ، وَنِصْفُهُمْ يُمْسِكُونَ الرِّمَاحَ وَالأَتْرَاسَ وَالْقِسِىَّ وَالدُّرُوعَ. وَالرُّؤَسَاءُ وَرَاءَ كُلِّ بَيْتِ يَهُوذَا.. وَكَانَ الْبَانُونَ يَبْنُونَ، وَسَيْفُ كُلُّ وَاحِدٍ مَرْبُوطٌ عَلَى جَنْبِهِ، وَكَانَ النَّافِخُ بِالْبُوقِ بِجَانِبِى".	بناء الحياة الروحية يحتاج منى حياة الاستعداد الدائم مع السهر اليقظ.
الإصحاح الخامس (نح ٥:١٣)	١١- الشكر
"ثُمَّ نَفَضْتُ حِجْرِى وَقُلْتُ: هكَذَا يَنْفُضُ اللهُ كُلَّ إِنْسَانٍ لاَ يُقِيمُ هذَا الْكَلاَمَ مِنْ بَيْتِهِ وَمِنْ تَعَبِهِ، وَهكَذَا يَكُونُ مَنْفُوضًا وَفَارِغًا. فَقَالَ كُلُّ الْجَمَاعَةِ: آمِينَ. وَسَبَّحُوا الرَّبَّ. وَعَمِلَ الشَّعْبُ حَسَبَ هذَا الْكَلاَمِ".	بناء الحياة الروحية لابد أن يكون مقترنًا دائمًا بحياة الشكر الحقيقى لله، على كل تعاملاته معنا، ونعمته التى تسند جهادنا.
(نح ٥:١٦)	١٢- التركيز على الهدف
"وَتَمَسَّكْتُ أَيْضًا بِشُغْلِ هذَا السُّورِ، وَلَمْ أَشْتَرِ حَقْلاً. وَكَانَ جَمِيعُ غِلْمَانِى مُجْتَمِعِينَ هُنَاكَ عَلَى الْعَمَلِ".	فى البداية الجديدة، من المهم أن نركز على هدفنا "البناء".. بعيدًا عن أى أهداف أخرى فردية قد تعطل الهدف الجماعى الأكبر والأهم.
الإصحاح السادس (نح ٦:١-٢)	١٣- ابعد عن التضخم
"وَلَمَّا سَمِعَ سَنْبَلَّطُ وَطُوبِيَّا وَجَشَمٌ الْعَرَبِيُّ وَبَقِيَّةُ أَعْدَائِنَا أَنِّى قَدْ بَنَيْتُ السُّورَ وَلَمْ تَبْقَ فِيهِ ثُغْرَةٌ، عَلَى أَنِّى لَمْ أَكُنْ إِلَى ذلِكَ الْوَقْتِ قَدْ أَقَمْتُ مَصَارِيعَ لِلأَبْوَابِ، أَرْسَلَ سَنْبَلَّطُ وَجَشَمٌ إِلَىَّ قَائِلَيْنِ: هَلُمَّ نَجْتَمِعْ مَعًا فِى الْقُرَى فِى بُقْعَةِ أُونُو. وَكَانَا يُفَكِّرَانِ أَنْ يَعْمَلاَ بِى شَرًّا".	نحميا بالرغم من كل ما حققه إلا أنه يعلم أن الأبواب لم تكتمل إلى الآن.. فمهم أن نعرف إلى أى مدى وصلنا فى البداية الجديدة.. وماذا ينقصنا لنكمل هذه البداية؟

(نح ٦:٩)	١٤- إذا قابلنا الإحباط من الآخرين
"لأَنَّهُمْ كَانُوا جَمِيعًا يُخِيفُونَنَا قَائِلِينَ: قَدِ ارْتَخَتْ أَيْدِيهِمْ عَنِ الْعَمَلِ فَلاَ يُعْمَلُ".	لكننا نقدر نقاوم الإحباط كقول نحميا: "فَالآنَ يَا إِلهِي شَدِّدْ يَدَيَّ" (نح ٦:٩)، فالله هو من يرى جهدك لأجل حياتك الروحية، وبنائها، وهو من سيشددك لتكمل هذا البناء.
(نح ٦:١٦)	١٥- النتيجة النهائية
"وَلَمَّا سَمِعَ كُلُّ أَعْدَائِنَا وَرَأَى جَمِيعُ الأُمَمِ الَّذِينَ حَوَالَيْنَا، سَقَطُوا كَثِيرًا فِي أَعْيُنِ أَنْفُسِهِمْ، وَعَلِمُوا أَنَّهُ مِنْ قِبَلِ إِلهِنَا عُمِلَ هذَا الْعَمَلُ".	١- اكتمل بناء السور. ٢- سقط الأعداء فى أعين أنفسهم. ٣- عرفوا قوة إله بنى إسرائيل.
الإصحاح السابع (نح ٧:٣)	١٦- الاستمرار
"وَقُلْتُ لَهُمَا: لاَ تُفْتَحْ أَبْوَابُ أُورُشَلِيمَ حَتَّى تَحْمَى الشَّمْسُ. وَمَا دَامُوا وُقُوفًا فَلْيُغْلِقُوا الْمَصَارِيعَ وَيُقْفِلُوهَا. وَأَقِيمَ حِرَاسَاتٌ مِنْ سُكَّانِ أُورُشَلِيمَ، كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى حِرَاسَتِهِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مُقَابِلَ بَيْتِهِ".	على قدر ما تكون البداية مهمة وحيوية.. أيضًا يكون حراسة ما وصلنا إليه والاستمرار فى المحافظة عليه هو شئ مهم.. فالاحتفاظ ببنائنا الروحى قد يكون أصعب من الوصول إليه.
الإصحاح الثامن (نح ٨:١)	١٧- مفتاح الوصول لحياة روحية بناءة
"اجْتَمَعَ كُلُّ الشَّعْبِ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِلَى السَّاحَةِ الَّتِي أَمَامَ بَابِ الْمَاءِ وَقَالُوا لِعَزْرَا الْكَاتِبِ أَنْ يَأْتِيَ بِسِفْرِ شَرِيعَةِ مُوسَى الَّتِي أَمَرَ بِهَا الرَّبُّ إِسْرَائِيلَ".	١- مجهودى وتفكيرى كله يكون فى اتجاه واحد، نحو تحقيق هدف واحد، وبروح واحدة. ٢- لم ينسى الشعب سفر شريعة الله "كلمة الله".

بناء النفس :

الإصحاح التاسع (نح ٩:٢)	١٨- الاعتراف
"وَانْفَصَلَ نَسْلُ إِسْرَائِيلَ مِنْ جَمِيعِ بَنِي الْغُرَبَاءِ، وَوَقَفُوا وَاعْتَرَفُوا بِخَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِ آبَائِهِمْ".	نحميا بدأ عمليًا فى بناء الشعب من الداخل كما بنى السور من الخارج.. وأول الخطوات كانت الاعتراف بوجود خطأ فى قلوبهم تجاه الله.. وهذا أوصلهم لكل ما عاناه الشعب فى الماضى.. وبالتالى شئ أساسى لبناء حياتى الروحية هو الاعتراف بالخطايا والتوبة عنها.
(نح ٩:٣)	١٩- وصايا الكتاب هى مرجعى
"وَأَقَامُوا فِي مَكَانِهِمْ وَقَرَأُوا فِي سِفْرِ شَرِيعَةِ الرَّبِّ إِلهِهِمْ رُبْعَ النَّهَارِ، وَفِي الرُّبْعِ الآخَرِ كَانُوا يَحْمَدُونَ وَيَسْجُدُونَ لِلرَّبِّ إِلهِهِمْ".	لقد رجعوا لكل وصايا الله التى أعطاها لآبائهم.. لذلك علينا الرجوع لأصل الوصية.. كلمة الله التى تنير لنا الطريق وتنقى الداخل "لأَنَّ الْوَصِيَّةَ مِصْبَاحٌ، وَالشَّرِيعَةَ نُورٌ" (أم ٦:٢٢).
(نح ٩:٥)	٢٠- إلهى قوتى
"قُومُوا بَارِكُوا الرَّبَّ إِلهَكُمْ مِنَ الأَزَلِ إِلَى الأَبَدِ، وَلْيُبَارَكِ اسْمُ جَلاَلِكَ الْمُتَعَالِي عَلَى كُلِّ بَرَكَةٍ وَتَسْبِيحٍ".	الطريق الحقيقى لبناء حياة روحية هو الحفاظ على سكنى الله فى قلوبنا وعقولنا لتتطبع صورة الله فى سلوكنا "أَنْتُمْ رِسَالَتُنَا، مَكْتُوبَةً فِي قُلُوبِنَا، مَعْرُوفَةً وَمَقْرُوءَةً مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ" (٢كو ٣:٢).
(نح ٩:٧-٩)	٢١- الله هو هو
"أَنْتَ هُوَ الرَّبُّ الإِلهُ الَّذِي اخْتَرْتَ أَبْرَامَ وَأَخْرَجْتَهُ مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ وَجَعَلْتَ اسْمَهُ إِبْرَاهِيمَ. وَوَجَدْتَ قَلْبَهُ أَمِينًا	الله هو هو أمس واليوم وإلى الأبد.. تذكرهم لوعود الله وعطاياه، واكتمال بناء السور.. فقد ساعدهم وأعطاهم قوة للتقدم فى التوبة والرجوع إلى الله. ونحن فى حياتنا مواقف

(تث ٩:٧-٩)	٢١- الله هو هو
أَمَامَكَ، وَقَطَعْتَ مَعَهُ الْعَهْدَ أَنْ تُعْطِيَهُ أَرْضَ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْفَرِزِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ وَالْجِرْجَاشِيِّينَ وَتُعْطِيَهَا لِنَسْلِهِ. وَقَدْ أَنْجَزْتَ وَعْدَكَ لأَنَّكَ صَادِقٌ. وَرَأَيْتَ ذُلَّ آبَائِنَا فِي مِصْرَ، وَسَمِعْتَ صُرَاخَهُمْ عِنْدَ بَحْرِ سُوفٍ".	كثيرة اختبرنا فيها يد ربنا وقوتها.. فالمطلوب هو تَذَكُّر هذه المواقف دائمًا كدافع لنا لاستكمال بناء حياتنا الروحية.
(تث ٩:٢٨)	٢٢- نرعوه فيستجيب
"وَلكِنْ لَمَّا اسْتَرَاحُوا رَجَعُوا إِلَى عَمَلِ الشَّرِّ قُدَّامَكَ، فَتَرَكْتَهُمْ بِيَدِ أَعْدَائِهِمْ، فَتَسَلَّطُوا عَلَيْهِمْ ثُمَّ رَجَعُوا وَصَرَخُوا إِلَيْكَ، وَأَنْتَ مِنَ السَّمَاءِ سَمِعْتَ وَأَنْقَذْتَهُمْ حَسَبَ مَرَاحِمِكَ الْكَثِيرَةِ أَحْيَانًا كَثِيرَةً".	ابتعادهم عن الله أدى لوقوعهم وإذلالهم على يد الأمم.. فنجدهم يعودوا ويصرخوا إلى الله، وينقذهم الله.. لكنهم يعودوا ليخطئوا مجددًا.. **لم يدركوا فكر الله الذى يريد قداستهم وعقولهم وقلوبهم نحوه**.. الراحة هى دائمًا مدخل للشر.. مهما كان ما وصلنا إليه فى الحياة الروحية.. لازم نكمل ونستمر فى البناء وحراسة ما قمنا ببناءه.
الإصحاح العاشر (تث ١٠:٢٨)	٢٣- ليكن الله هو هدفك
"وَبَاقِي الشَّعْبِ وَالْكَهَنَةِ وَاللاَّوِيِّينَ وَالْبَوَّابِينَ وَالْمُغَنِّينَ وَالنَّثِينِيمِ، وَكُلِّ الَّذِينَ انْفَصَلُوا مِنْ شُعُوبِ الأَرَاضِي إِلَى شَرِيعَةِ اللهِ، وَنِسَائِهِمْ وَبَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمْ، كُلِّ أَصْحَابِ الْمَعْرِفَةِ وَالْفَهْمِ".	الاتجاهات والاهتمامات اتغيرت.. الهدف أصبح "شريعة الله".. كلمة الله هى الموجه الأساسى لى أثناء بناء حياتى الروحية.

الإصحاح الثانى عشر (نح ١٢: ٢٧)	٢٤- لنكن أوانٍ مقدسة لسكناه
"وَعِنْدَ تَدْشِينِ سُورِ أُورُشَلِيمَ طَلَبُوا اللاَّوِيِّينَ مِنْ جَمِيعِ أَمَاكِنِهِمْ لِيَأْتُوا بِهِمْ إِلَى أُورُشَلِيمَ، لِكَيْ يُدَشِّنُوا بِفَرَحٍ وَبِحَمْدٍ وَغِنَاءٍ بِالصُّنُوجِ وَالرَّبَابِ وَالْعِيدَانِ".	تخصيص كل الحواس لسماع رسالة الله لنا الدائمة والمستمرة.. وبالتالى سأبنى حياتى الروحية على أساس وصية إلهية.
(نح ١٢: ٤٣)	٢٥- افرحوا فى الرب كل حين
"وَذَبَحُوا فِي ذلِكَ الْيَوْمِ ذَبَائِحَ عَظِيمَةً وَفَرِحُوا، لأَنَّ اللهَ أَفْرَحَهُمْ فَرَحًا عَظِيمًا. وَفَرِحَ الأَوْلاَدُ وَالنِّسَاءُ أَيْضًا، وَسُمِعَ فَرَحُ أُورُشَلِيمَ عَنْ بُعْدٍ".	الشعب الذى ذاق ألم السبى والإهانة.. تحول كل حزنه إلى فرح يسمعه الآخرين على مسافات.. الله قادر دائمًا أن يعوض بأكثر مما نطلب أو نتخيل.

الآية المحورية : "أَجَبْتُهُمْ وَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ إِلهَ السَّمَاءِ يُعْطِينَا النَّجَاحَ، وَنَحْنُ عَبِيدُهُ نَقُومُ وَنَبْنِي. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَيْسَ لَكُمْ نَصِيبٌ وَلاَ حَقٌّ وَلاَ ذِكْرٌ فِي أُورُشَلِيمَ" (نح ٢: ٢٠).

التطبيق : فكما كانوا "يُحْيُونَ الْحِجَارَةَ مِنْ كُوَمِ التُّرَابِ وَهِيَ مُحْرَقَةٌ" (نح ٤: ٢).. ثق أن الله قادر أن يُحيى ويُقيم حياتك الروحية.. مهما كان مستوى حياتك الروحية.. ولكن دائمًا يجب أن تتوافر لدينا الإرادة لبناء تلك الحياة الروحية.

٣ عقيدة التجسد الإلهى

أولاً: مفهوم التجسد الإلهى

التجسد فى المسيحية عقيدة جوهرية وخلاصية واتحادية..

- **جوهرية** : لا يمكن التفريط فيها، فغيابها إلغاء للمسيحية.
- **خلاصية** : لأنها أساسية لخلاصنا، إذ كيف نخلص بدون فداء؟ وكيف يفدينا الرب بدون سفك دم وموت؟ وكيف يموت بدون تجسد.
- **اتحادية** : بمعنى أن حلول كل ملء اللاهوت جسديًا فى الإنسان يفتح الطريق لسكنى الله فيه.

✝ **"عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِى الْجَسَدِ" (١تى ٣:١٦) :**

- التجسد الإلهى يعنى أن الله، وهو ملك السموات، تنازل وأخذ جسدًا إنسانيًا، فاتحد بطبيعتنا، وظهر بيننا على الأرض.
- والتجسد الإلهى يعنى أن الله غير المنظور قد صار منظورًا فى جسد إنسان.
- والتجسد الإلهى يعنى أن الله قد تواضع حبًا فينا، وأخلى ذاته وأخذ جسدنا.
- **"أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِى شِبْهِ النَّاسِ" (فى ٢:٧).**

✝ **"وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا" (يو١:١٤) :**

أقنوم الابن **"الله الكلمة"** صار إنسانًا وحل بيننا.. ولفظة **(صار)** هنا لا تعنى الصيرورة أو التحول، بل هى تعنى **(أخذ جسدًا)**، كما يقول القديس باسيليوس الكبير فى القداس الإلهى: ⲁⲛⲟⲙⲟⲓⲱⲑⲉⲓⲥ أى **(أخذ جسدًا)**.. وأقنوم الابن لم يتجسد فقط، ولكنه تجسد وتأنس، وهذا يعنى أنه تجسد فى جسد إنسانى وأخذ الطبيعة الإنسانية كلها.

ثانيًا: لا صعوبة فى فكرة التجسد

التجسد الإلهى لا يعنى أن الله قد أخلى السماء من وجوده حين نزل على الأرض، فوجوده يملأ السموات والأرض، وإنما أخلى ذاته من المجد.. وهذا

الأمر داخل فى دائرة قدرة الله، وليس فيه صعوبة أو غرابة. **لأن الذى يملك الكل يملك الجزء، والذى يملك الأكثر يملك الأقل:**

- أليس فى قدرة الملك أن يلبس رداء العامة ويجلس بينهم؟
- أليس فى إمكان الرجل الرفيع الشأن أن يتنازل ويسير بين الفقراء؟
- أليس فى قدرة المدرس أن ينزل إلى مستوى التلاميذ ويتحدث إليهم؟

ثالثًا: ضرورة التجسد الإلهى

لم يكن التجسد الإلهى هدفًا فى ذاته، بل كان وسيلة لتحقيق أهداف أخرى، وهى :

١- فداء الإنسان.
٢- تجديد خلقته.
٣- تعليمه.
٤- تقديم النموذج للكمال الإنسانى.

- يقول القديس أثناسيوس الرسولى: **(يجب أن نعلم أن الفساد الذى حصل لم يكن خارج الجسد، بل لصق به، وكان مطلوبًا أن تلتصق به الحياة عوض الفساد، حتى كما تمكن الموت من الجسد تتمكن منه الحياة أيضًا)** (تجسد الكلمة ف ٤٤:٤).

ويقول أيضًا: **(لهذا السبب كان معقولاً أن يلبس المخلص جسدًا، حتى إذا ما اتحد الجسد بالحياة لا يبقى فى الموت كمائت، بل يقوم فى عدم الموت إذ لبس عدم الموت.. كذلك لم يكن ممكنًا أن يظهر الموت إلا فى الجسد وفقًا لطبيعته، لهذا لبس المسيح جسدًا لكى يجد الموت فى جسده ويبيده)** (تجسد الكلمة ف ٤٤:٦).

- ويقول القديس كيرلس الكبير: **(لم يكن هناك وسيلة أخرى لزعزعة سلطان الموت إلا فقط بتجسد الابن الوحيد، فقد اقتنى لنفسه جسدًا قابلاً للفساد، لكى يستطيع بكونه هو نفسه الحياة أن يزرع فى الجسد امتيازه الخاص الذى هو الحياة)** (المسيح واحد).

رابعًا: تهيئة الأذهان للتجسد الإلهى

ظل الله يهيئ الأذهان لفكرة التجسد الإلهى عبر القرون الطويلة لعمر البشرية. فاختار له شعبًا، وميزه بالشريعة والناموس، **وأرسل إليهم الأنبياء الذين تنبأوا عن مجئ ابنه الوحيد بتفصيلات مدهشة:**

١- نبوات مهدت للتجسد :

- تنبأ الأنبياء عن نسب السيد المسيح المخلص، فذكروا أنه سيأتى من نسل **امرأة (تك ٣:١٥)**، ومن نسل **سام (تك ٩:٢٦)**، ومن إبراهيم **(تك ١٨:١٨)**، ومن **إسحق** دون **إسماعيل (تك ١٧:١٩)**، ومن **يعقوب** دون **عيسو (عد ٢٤:١٧)**، ومن **سبط يهوذا (تك ٤٩:٨-١١)**، ومن نسل **داود (مز ٨٩)**.

- كذلك تنبأ **إشعياء** أنه سيولد من عذراء **(إش ٧:١٤)**، وتنبأ **ميخا** أنه سيولد فى بيت لحم **(مى ٥:٢)**، وتنبأ **دانيال** عن زمن مجيئه بكل دقة **(دا ٩:٢٤-٢٧)**، وتنبأ داود عن المجوس وهداياهم **(مز ٦٨:٢٩)**، وتنبأ **إرميا** عن مذبحة بيت لحم **(إر ٣١:١٥)**، وتنبأ **إشعياء** عن مجئ العائلة المقدسة لمصر **(إش ١٩:١)**، وتنبأ **هوشع** عن عودتها **(هو ١١:١)**.

٢- ظهورات مهدت للتجسد :

تزخر أسفار العهد القديم بالأحداث التى تعلن عن ظهور الله للآباء فى القديم بصورة مرئية مثل: ظهورات الله لإبراهيم، وهاجر، ولوط، وإسحق، ويعقوب، وموسى، وهارون، وشيوخ إسرائيل، ولبلعام بن بعور، وليشوع، وجدعون، ولمنوح وزوجته، ولصموئيل، ولإشعياء، ولدانيال، وللثلاثة فتية.

وكان لكل ظهور مدلوله الخاص، ورسالته التى تتعلق بالموقف نفسه. وكذلك كانت هناك رسالة عامة تقدمها هذه الظهورات الإلهية لجميع الأجيال، وهى أنها تعلن عن الله من جهة، وتدل على إمكانية تجسده وظهوره من جهة أخرى.. فمادام الله لم يستنكف أن يتخذ هيئة ملاك أو إنسان فى القديم لكى يظهر للبشر فيروه ويتحدث إليهم، فليس هناك ما يمنع أن يتخذ جسدًا حقيقيًا فى ملء الزمان ليتمم به فداء الإنسان.

٣- رموز مهدت للتجسد الإلهى :

وكانت هناك رموز للتجسد الإلهى نذكر هنا بعضها، مثل: سلم يعقوب - عليقة موسى - المن النازل من السماء - لوحى الشريعة - خيمة الاجتماع - المنارة الذهبية - تابوت العهد - قسط المن - عصا هارون - باب حزقيال المغلق - حجر دانيال.

٤- عوامل عالمية مهدت للتجسد :

- انتشار عدد كبير من اليهود ومعلميهم فى بقاع عديدة فى العالم، وترديدهم لفكرة المسيا المنتظر.
- وحدة اللغة بين الشعوب بانتشار اللغة اليونانية.
- الترجمة السبعينية لأسفار العهد القديم، والتى ساعدت على نشر هذه الأسفار بين شعوب العالم باللغة اليونانية.
- سيطرة الإمبراطورية الرومانية على العالم، مما جعلها تمهد الطرق بين الأمم، فصار الانتقال أكثر سهولة ويسرًا.
- انتشار الفلسفة وما أحدثته من أثر فى عقول وأفكار الناس، فأرشدتهم إلى ضرورة الاعتقاد فى إله واحد، عاقل، ناطق، حى، يضبط الكون بقوانين ثابتة.. ولذلك قال إكليمندس السكندرى: **(إن الفلسفة أرشدت اليونانيين إلى المسيح، مثلما أرشد الناموس اليهود إليه)**.

خامسًا: كيف حدث التجسد الإلهى ؟

"لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ" (غل ٤:٤-٥)، فى ملء الزمان وبعد أن أعد الله البشرية لمجيء ابنه، أرسل الله الملاك جبرائيل بالبشارة المفرحة، إلى عذراء فى الناصرة تدعى مريم وقال لها: **"قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ. وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ** (مخلص). **هَذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلَهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ".** ولما تساءلت العذراء مريم متعجبة: **"كَيْفَ يَكُونُ هَذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلاً؟ فَأَجَابَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لَهَا: اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، فَلِذَلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ.. فَقَالَتْ مَرْيَمُ: هُوَذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ"** (لو ١:٣٠-٣٨).

وهكذا حل الروح القدس على العذراء مريم، وكوَّن منها جسد المسيح، فكان طاهرًا خاليًا من الخطية الجدية، وكذلك من الفساد الوراثى، لأنه أتى بعمل معجزى بدون زرع بشر.. وفى الوهلة الأولى التى هيأ فيها الروح القدس مبدأ الناسوت فى بطن العذراء، فى نفس الوهلة اتحد اللاهوت به، فلم تكن هناك وهلة من الزمان - أو أقل من وهلة - كان فيها ناسوت المسيح خاليًا من لاهوته. ولذلك تسمى الكنيسة العذراء مريم **(معمل الاتحاد غير المفترق)**، إذ فيها تم اتحاد اللاهوت بالناسوت اتحادًا أبديًا.. ولهذا نحن نقول فى ثيؤطوكية الأربعاء: السلام لمعمل الاتحاد غير المفترق.

سادسًا: ولادة يسوع المسيح ابن الله

وبعد أن تمت أيام الحبل المقدس **(تسعة أشهر)**، ولدت العذراء مريم الطفل يسوع ابن الله الكلمة المتجسد. وفرحت الملائكة بهذا الميلاد العجيب وترنمت: **"الْمَجْدُ لِلَّهِ فِى الأَعَالِى، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ"** (لو ٢:١٤)، ولهذا **دعيت العذراء مريم بوالدة الإله (ثيؤطوكوس)**، ليس لأن اللاهوت أخذ جسدًا منها، ولكن لأن الذى ولد منها هو الإله المتأنس.

سؤال : لماذا قام أقنوم الابن بالذات بعملية التجسد؟

الجواب: أولاً نريد أن نوضح أن الأقانيم الثلاثة شاركت فى التجسد، وفى فداء الإنسان.. فالآب أرسل الابن، والروح القدس هيأ ومهد، ورأينا دوره فى الحمل المقدس إذ حل على العذراء.. **أما الابن فهو الذى أخذ جسدًا إنسانيًا، وذلك للأسباب الآتية :**

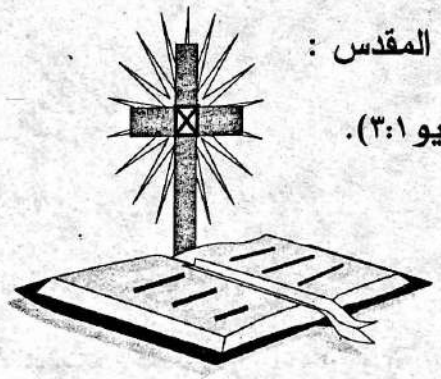

أ- **أقنوم الابن (اللوغوس) هو الخالق كما يقول الوحى المقدس :**

- **"كُلُّ شَىْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَىْءٌ مِمَّا كَانَ"** (يو ١:٣).
- **"الْعَالَمِينَ أَتْقَنْتَ بِكَلِمَةِ اللهِ"** (عب ١١:٣).

إذن، كان من الطبيعى أن الأقنوم الذى قام بخلقة الإنسان، يكون هو الذى يجدد خلقته مرة أخرى.

يقول القديس أثناسيوس: **(وكيف كان ممكنا أن يتم تجديد الخليقة إلا بحضور نفس صورة الله "أقنوم الابن") (تجسد الكلمة ف ١٣ :٧).**

ب- أقنوم الابن هو الخاص بالإعلان عن الذات الإلهية كما يقول الوحى المقدس: "اَللَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِى هُوَ فِى حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ" (يو١:١٨).

ج- "قَدْ هَلَكَ شَعْبِى مِنْ عَدَمِ الْمَعْرِفَةِ" (هو٤:٦)، وضل فى طريق بعيدة، فكان لابد أن يأتى أقنوم الحكمة والمعرفة، ويقدم مثلاً ونموذجًا، ويعلم الناس الفضيلة. ولهذا قال السيد المسيح: "تَعَلَّمُوا مِنِّى" (مت١١:٢٩).

سابعًا: بركات التجسد الإلهى

التجسد الإلهى :

- كشف لنا عن محبة الله العميقة جدًا للإنسان.
- كان الخطوة الأساسية لفداء الإنسان.
- جدد طبيعة الإنسان الساقط، إذ اتحد ابن الله بالجسد الإنسانى.
- علم الإنسان الكثير والكثير عن الله.
- قدم للإنسان المثل الأعلى فى الكمال الإنسانى.

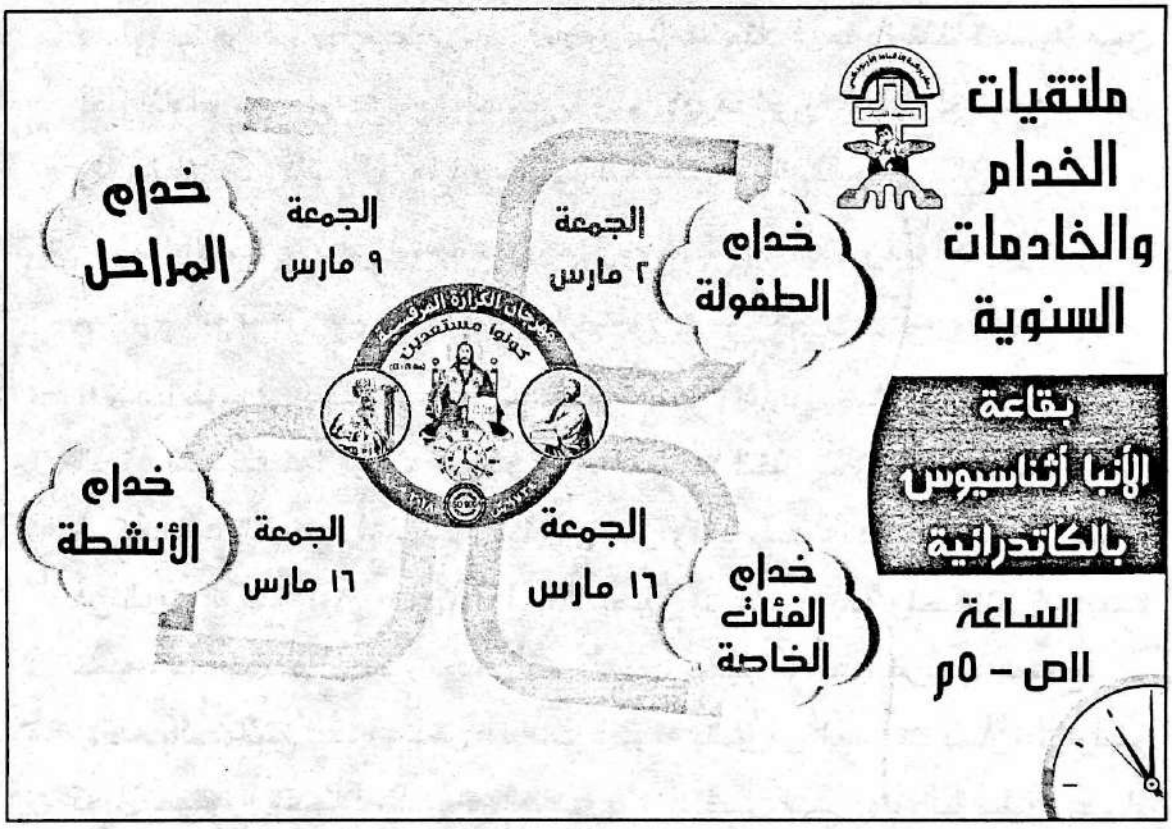

٤ الإفخارستيا

لاشك أن الإفخارستيا (**سر التناول المقدس**) لها **دورها الأساسى فى خلاصنا**.. فما هو هذا الدور؟ **نعرف هذا حينما نتحدث عن:**

- **أولاً: مفاعيل الإفخارستيا.**
- **ثانيًا: أنواع الصلوات المتاحة فيها.**
- **ثالثًا: الإفخارستيا.. والكلمة.**
- **رابعًا: الإفخارستيا.. والثالوث.**

أولاً: مفاعيل الإفخارستيا

لاشك أن الإفخارستيا لها مفاعيل كثيرة فى حياتنا كأعضاء فى جسد السيد المسيح، **ونستطيع أن نوجز بعضها فيما يلى:**

١- **الاتحاد بالسيد المسيح** : هذا هو أهم مفاعيل الليتورجيا، حسب قول الرب: "**مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِى وَيَشْرَبْ دَمِى، يَثْبُتْ فِىَّ وَأَنَا فِيهِ**" (يو ٦:٥٦). وهكذا إذ يسرى جسد الرب ودمه الأقدسين داخلنا، جسدًا ونفسًا وعقلاً وروحًا، نتحد بالرب، ونثبت فيه. لهذا يصلى الكاهن فى نهاية القداس سرًا ويقول: "**فمنا امتلأ فرحًا ولساننا تهليلاً من أجل تناولنا من أسرارك غير المائتة يا رب. لأن ما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر ما أعددته يا الله لمحبى اسمك القدوس.. إلخ**".

وهذا الإتحاد لا يعنى أن يتأله الإنسان ويصير شريكًا فى جوهر اللاهوت، بل معناه أن الله يسكن فينا بنعمته ومواهبه وعمل روحه القدوس، ويقدس طبيعتنا.

٢- **الاتحاد بإخوتنا فى جسد الكنيسة ذات الإيمان السليم** : إذ يقول معلمنا بولس: "**كَأْسُ الْبَرَكَةِ الَّتِى نُبَارِكُهَا أَلَيْسَتْ هِىَ شَرِكَةَ دَمِ الْمَسِيحِ؟ الْخُبْزُ الَّذِى نَكْسِرُهُ أَلَيْسَ هُوَ شَرِكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ؟ فَإِنَّنَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ خُبْزٌ وَاحِدٌ جَسَدٌ وَاحِدٌ لأَنَّنَا جَمِيعَنَا نَشْتَرِكُ فِى الْخُبْزِ الْوَاحِدِ**" (١كو ١٠:١٦-١٧). لهذا لا نصلى إلا على قربانة واحدة نشترك فيها جميعًا، كأعضاء فى جسد واحد، رأسه المسيح، وكنيسة واحدة، عريسها المسيح.

٣- **الاتحاد بالسمائيين** : فنحن ندشن أيقونات الكنيسة بالميرون إيمانًا منا بأن الأيقونة تحمل حضورًا مقدسًا لصاحبها، فالقديسون أحياء فى الفردوس يصلون عنا،

ويتشفعون فينا. لذلك يصرخ الشماس منبهًا إيانا: "**فلنقف حسنًا، لنقف بتقوى، نقف باتصال، نقف بسلام، نقف بخوف الله ورعدة وخشوع. أيها الإكليروس وكل الشعب بطلبة، وشكر بهدوء وسكوت. ارفعوا أعينكم إلى ناحية المشرق لتنظروا المذبح وجسد ودم عمانوئيل إلهنا موضوعين عليه. والملائكة ورؤساء الملائكة قيام، السيرافيم ذو الستة الأجنحة والشاروبيم الممتلئون أعينًا يسترون وجوههم من بهاء عظمة مجده غير المنظور، ولا المنطوق به، يسبحون بصوت واحد صارخين: قدوس قدوس قدوس..**".

كما أننا نذكر أسماء القديسين الذين رحلوا عنا فى "صلاة المجمع"، ونصلى من أجل الراقدين الذين سبقونا. وفى نهاية القداس يصرف الأب الكاهن ملاك الذبيحة قائلاً: "**يا ملاك هذه الذبيحة المقدسة، أذكرنا أمام الرب ليغفر لنا خطايانا**". وهكذا نحس بوحدتنا مع السمائيين من قديسين وملائكة.

٤- **المسئولية تجاه العالم** : إذ نهتف قائلين: "**آمين.. آمين.. آمين، بموتك يا رب نبشر، وبقيامتك المقدسة..**"، إنه إحساس بالمسئولية نحو العالم، ونحو كل إنسان لم يتعرف بعد على نصيبه فى الخلاص، وعلى المسيح المخلص.

إن الكنيسة ليست كيانًا منغلقًا، ولكنها كيان منفتح على الكل. إنها المسئولة عن بشارة الخلاص، رأسها المسيح، وروحها روح الله، والآب السمائى يرعاها بحب، والسمائيون هم بمثابة "**سَحَابَةٌ مِنَ الشُّهُودِ مِقْدَارُ هَذِهِ مُحِيطَةٌ بِنَا**" (**عب ١٢:١**). فالإنسان المسيحى يخرج من القداس الإلهى، وكله وداعة وحب، ورغبة فى الحديث عن الرب، وما صنعه من أجلنا، ليرحمنا ويخلصنا، ويعطينا ملكوته السماوى.

الإفخارستيا هى الطريق إلى الكرازة!! لهذا ينادينا ربنا يسوع على لسان الأب الكاهن: "**لأنه فى كل مرة تأكلون من هذا الخبز، وتشربون من هذه الكأس، تبشرون بموتى، وتعترفون بقيامتى، وتذكرونى إلى أن آجئ**".

٥- **الغفران والخلاص** : إن الليتورجيا هى سبيل الغفران والخلاص، بدليل صراخ الكاهن وهتافه فى الاعتراف الأخير، وكأنه يحذر كل من يهمل شركتها:

"**يعطى عنا خلاصًا، وغفرانًا للخطايا..**". ألم يقل الكتاب المقدس: "**وَبِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لاَ تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ**" (عب ٩:٢٢)، "**فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا**" (أف ١:٧)، "**وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ**" (١يو ١:٧)، "**يَسُوعُ لِكَيْ يُقَدِّسَ الشَّعْبَ بِدَمِ نَفْسِهِ، تَأَلَّمَ خَارِجَ الْبَابِ**" (عب ١٣:١٢).. والخلاص يبدأ بالمعمودية، ويكتمل بالتوبة، ويختتم بتغيير الجسد.

لهذا يصلى الكاهن فى القسمة قائلاً: "**أعطنى يا مخلصى أن أعتبر عذابك كنزى، وإكليل الشوك مجدى، وأوجاعك تنعمى، ومرارتك حلاوتى، ودمك حياتى، ومحبتك فخرى وشكرى. يا جراح المسيح، اجرحينى بحربة الحب الإلهى. يا موت المسيح، اسكرنى بحب من مات لأجلى. يا دم المسيح طهرنى من كل خطية**".

إن حضور القداس الإلهى فى خشوع وتبكير، والتناول من الذبيحة المقدسة، هما خير معين فى الغفران والخلاص، لهذا يصلى الكاهن قائلاً: "**وعند إصعاد الذبيحة على مذبحك، تضمحل الخطيئة من أعضائنا بنعمتك**".

٦- **نوال الخلود**: إذ يقول الرب: "**مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي، فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ**" (يو ٦:٥٤)، فهذا هو خبز الحياة النازل من السماء، وغذاء الروح، وطريق الميراث. إنه بمثابة الاتصال الدائم بالإله الحىّ الأبدى، الذى قال: "**إِنِّي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ**" (يو ١٤:١٩). لهذا يقول الآباء: "**من كان بعيدًا عن المذبح، فهو محروم من خبز الله**". وعندنا اعتقاد أن كل من يهمل التناول، يصير مسكنًا للموت، ولكل روح شرير. ونحن نعلم أنه "**طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللَّهَ**" (مت ٥:٨)، "**وَالْقَدَاسَةَ الَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ**" (عب ١٢:١٤).. والتناول هو طريقنا إلى معاينة الله، ورؤيا القدير، والوصول إلى الميراث الأبدى.

إن كانت تلك مفاعيل التناول، فهل يمكننا أن نتصور تعليمًا مستقيمًا يخلو من الحديث عنه، وحث الناس عليه؟ إنه علامة أساسية من علامات أرثوذكسية الحياة، والثبات فى السيد المسيح.. له المجد.

ثانيًا: أنواع الصلوات فى الإفخارستيا

فمن أهم ما تتسم به صلوات الإفخارستيا، أنها ترفع من خلالها من يشتركون فيها، من درجة إلى درجة فى الصلوات، بأنواعها المتعددة، **ولنذكر الآن بعضًا منها:**

١- **الشكر** : لا توجد صلاة أرثوذكسية لا تبدأ بالشكر!! فى المزامير، وفى التسبحة، وفى رفع البخور، وفى القداس. وفى الأفراح، وفى الأحزان، الشكر هو السمة الأولى لصلوات الليتورجيا.. فالكنيسة تريد أن تعلمنا أن نحيا معها حياة الشكر لإلهنا ضابط الكل، صانع الخيرات، الرحوم **"على كل حال، ومن أجل كل حال، وفى كل حال"**.

٢- **التسبيح** : وهو طقس السمائيين، تنقلنا إليه الكنيسة يوميًا قبل بخور عشية، وفى نصف الليل، وقبل بخور باكر. وكأنها تريد منا أن نشعر دائمًا بحضور السمائيين معنا، لنشترك معهم فى تسبيحهم، فليس فى السماء سوى التسبيح الدائم!! لهذا يصلى الكاهن قائلاً: **"أعطى الذين على الأرض تسبيح السيرافيم"**.. والتسابيح الكنسية هى عمومًا تسابيح خلاص، فقد قيل عن الملائكة أنهم: **"يرسلون تسبحة الخلاص الذى لنا بصوت ممتلئ مجدًا.."**، بل إن ترتيب "هوسات" وأجزاء تسبحة نصف الليل **تشكل معًا رحلة خلاص**:

أ- **الهوس الأول (خر ١٥)** : هو هوس "الخلاص"، إذ تحرر الشعب من عبودية فرعون، وانطلق فى طريق الحرية.. فتسبحة عبور البحر الأحمر، رمزًا لعبور الخاطئ من حياة الإثم إلى حضن المسيح.

ب- **الهوس الثانى (مز ١٣٢)** : هو هوس "الشكر"، فبعد التحرر من قيود العبودية، لابد من أن نشكر الله من أجل عظيم رحمته.. فالمرد الدائم فى هذا الهوس هو: **"اشكروا الرب فإنه صالح، وأن إلى الأبد رحمته"**.

ج- **الهوس الثالث (تسبحة الثلاثة فتية فى أتون النار)** : فبعد العبور والشكر، يأتى **"الجهاد"**.. فطريق الملكوت ليس مفروشًا بالورود فقط، ولكن بالأشواك أيضًا.. لكن حتى لو واجهنا الموت فى الآتون، هناك الرابع الشبيه بابن الله، ينقذنا من الموت الأبدى.

د- **المجمع والذكصولوجيات** : فالإنسان الذى انتصر على موت الخطية بالنعمة الإلهية وأمانة الجهاد، يدخل إلى شركة القديسين، فيذكرهم، ويطلب شفاعتهم وصلواتهم، ويتحد بهم، ويصلى التماجيد بأسمائهم، فهم موكب الظافرين، الذين يجب أن نتمثل بهم: "**انْظُرُوا إِلَى نِهَايَةِ سِيرَتِهِمْ فَتَمَثَّلُوا بِإِيمَانِهِمْ**" (عب ١٣:٧).

هـ- **الهوس الرابع** (مز ١٤٨،١٤٩،١٥٠): وهو هوس "**التسبيح**" فمن دخل إلى شركة القديسين، مدعو أن يسبح معهم تسبيح السمائيين: "**سبحوا الله فى جميع قديسيه**".. فهم هناك يرنمون ترنيمة موسى عبد الله والخروف.. هناك يتم القول: "**أَمَسْرُورٌ أَحَدٌ؟ فَلْيُرَتِّلْ..**" (يع ٥:١٣)، وهناك الموضع الذى هرب منه الحزن والكآبة والتنهد، فى نور القديسين.. هناك نرى الله "**وجهًا لوجه**"، ونحيا معه وبه وفيه إلى أبد الآبدين.

و- **إبصالية اليوم** : وهى عمومًا **تسبيح للرب يسوع**.. رئيس خلاصنا الحبيب.. نلهج باسمه مع داود قائلين: "**سَبِّحُوا الرَّبَّ لأَنَّ الرَّبَّ صَالِحٌ. رَنِّمُوا لاِسْمِهِ لأَنَّ ذَاكَ حُلْوٌ**" (مز١٣٥:٣) لذلك يفتخر به المرنم قائلاً: "**فإن كنا معوزين من أموال هذا العالم، وليس لنا شئ لكى نعطيه صدقة، فلنا الجوهرة، اللؤلؤة الكثيرة الثمن، الاسم الحلو المملوء مجدًا، الذى لربنا يسوع المسيح.. إذا مارتلنا فلنقل بحلاوة : يا ربنا يسوع المسيح، اصنع رحمة مع نفوسنا**" (إبصالية الأربعاء).

ى- **ثيؤطوكية اليوم** : وهى تمجيد لاهوتى رائع، يتحدث عن سر التجسد العظيم، واتحاد الطبيعتين للسيد المسيح: اللاهوت والناسوت، فى بطن أمنا السيدة العذراء، السماء الثانية، موضع اتحاد الطبائع، فنناديها قائلين: "**كل الطغمات السمائية، ينطقون بطوباويتك، لأنك أنت هى السماء الثانية، الكائنة على الأرض. باب المشارق هو مريم العذراء، الخدر النقى، الذى للختن الحقيقى.. تطلع الآب من السماء، فلم يجد من يشبهك، أرسل وحيده، أتى وتجسد منك**" (ثيؤطوكية الأربعاء).

٣- **الاسترحام** : إن ضعفنا البشرى، وقصورنا وإهمالنا، كثيرًا ما يتسبب فى سقوطنا فى الخطية، لهذا رسمت لنا الكنيسة، امتدادًا لوصية السيد المسيح: "**مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ**" (يو ٢٠:٢٣)، رسمت لنا سر التوبة، **والتوبة الأرثوذكسية لها ركائز أربع :**

أ- **الندم على الخطية:** من كل القلب..

ب- **الإيمان بدم المسيح:** الذى يغفر كل خطية..

ج- **العزم على تركها:** بالجهاد قدر الاستطاعة، وبأمانة..

د- **الاعتراف أمام الأب الكاهن:** وكيل سرائر الله، الذى يمتحن بالروح القدس صدق التوبة، فيعطى - بالروح القدس أيضًا - الحِل والإرشاد.

والكنيسة لا تكف أن تصرخ أثناء القداس: "**اللهم ارحمنا، قرر لنا رحمة، تراءف علينا، اسمعنا، وباركنا، واحفظنا، وأعنا، وارفع غضبك عنا، افتقدنا بخلاصك، واغفر لنا خطايانا**".. هذه الصلاة التى يصليها الكاهن فى خشوع، رافعًا يديه على مثال الصليب، حاملاً صليبًا عليه شمعة ترمز إلى السيد المسيح، نور العالم، والمصلوب على الصليب من أجلنا.

ومَنْ منا لا ينسكب خاشعًا حينما يصلى الكاهن قائلاً: "**شعبك وبيعتك يطلبون إليك وبك إلى الآب معك قائلين: ارحمنا يا الله الآب ضابط الكل. ارحمنا يا الله مخلصنا. ارحمنا يا الله ثم ارحمنا**"؟!.. وباستمرار نتلو المزمور الخمسين بعد صلاة الشكر: "**ارحمنى يا الله كعظيم رحمتك**". ولا نكف عن الابتهال إلى الله قائلين: "**يارب ارحم**" عشرات المرات فى كل قداس إلهى.

٤- **الطلبات :** إن الله لا يبخل علينا بشىء، ويعطينا قبل أن نسأل، ولكنه يوصينا أيضًا قائلاً: "**لاَ تَهْتَمُّوا بِشَىْءٍ، بَلْ فِى كُلِّ شَىْءٍ بِالصَّلاَةِ وَالدُّعَاءِ مَعَ الشُّكْرِ، لِتُعْلَمْ طِلْبَاتُكُمْ لَدَى اللهِ**" (فى٤:٦)، وهكذا نطلب فى الليتورجيا من أجل : المرضى - المسافرين - الراقدين - الموضع - الكنيسة - الآباء - الاجتماعات - الخدام - كل الشعب - الأهوية - الثمار - المياه - الأرملة - الغريب - الضيف - غير المؤمنين - المعترفين - القرابين - الذين عليهم دين.. إلخ.

ونحن نختار فرصة ممتازة بعد تقديس الأسرار بحلول الروح القدس، وحضور عمانوئيل إلهنا فى وسطنا، ونبدأ بأن نقدم لله كل طلباتنا، واثقين أنه يسمع، ويستجيب!!

هذه مجرد نماذج بسيطة توضح أنواع الصلوات التى نمارسها من خلال الليتورجيا، لهذا فالمسيحى الأرثوذكسى يحيا مع هذه الصلوات المتنوعة لنفسه ومع أفراد عائلته، القادرة أن تغسل قلوبهم، وترفعهم فى مدارك الحياة الروحية.

ثالثًا: الإفخارستيا.. والكلمة

ليس من شك أن الليتورجيا - خصوصًا القبطية الأرثوذكسية تحوى قدرًا كبيرًا من إصحاحات الكتاب المقدس، **فى قراءات مختارة بفلسفة وحكمة عميقة:**

- **قراءات أيام الآحاد :** تتحدث عن المخلص وتدبير الخلاص، من الميلاد، إلى الكرازة، إلى الآلام، فالقيامة، فالصعود، فحلول روح الله، فتأسيس الكنيسة.
- **أما قراءات أيام الاسبوع :** فتتحدث عن قديس اليوم وتذكاراته، من أمنا **العذراء** إلى رؤساء الملائكة والآباء والأنبياء والرسل والشهداء والقديسين والآباء البطاركة والعذارى إلخ.. ومن يتأمل ترابط قراءات اليوم الواحد، يجد كم هى متسقة مع بعضها البعض، فى إطار سلسلة واحدة وموضوع واحد، تتفق جميعًا مع الشخص المحتفى به.
- **وفى كل قداس :** نقرأ ثلاثة فصول من المزامير، وثلاثة فصول من الأناجيل (فى عشية وباكر والقداس)، مع البولس، والكاثوليكون، والابركسيس.. مع نبوات واقتباسات كثيرة من العهد القديم فى صوم يونان، والصوم الكبير، والبصخة، والتسبحة.

وكأن الكنيسة تريد أن تنقلنا من "**الكلمة المسموعة**" من على المنجلية، إلى "**الكلمة الذاتى**" الذى نتناوله من على المذبح!! وكم من قديس كان سر قداسته آية واحدة سمعها من فوق المنجلية **كالقديس أنطونيوس**.. فى وقت كان فيه الوعظ قليلاً، لكنهم كانوا يستقبلون القراءات بالخشوع والخضوع وطاعة روح الله!!

إن المسيحى الأرثوذكسى، لا يتجاهل أبدًا علاقة الليتورجيا بالكلمة، وترتيب السنة الطقسية، وتذكارات الأيام، والأعياد والأصوام والمناسبات الكنسية.

فالليتورجيا تعلمنا بأساليب عدة :

أ- **بالاستماع** إلى كلمة الله من على **المنجلية**.

ب- **وبالاتحاد** بكلمة الله فى **التناول**. ج- **وبالاقتداء** بسير القديسين فى **السنكسار**.

د- **وبالتأمل** فى تفسيرات الآباء لكلمات الكتاب فى **العظات والميامر**.

وكما قال **القديس أغسطينوس**: "**أنا أقبل الإنجيل من الكنيسة، مشروحًا بالآباء، معاشًا فى القديسين**".. نحن نشبع فى الإفخارستيا بالسيد المسيح "**كلمة الله الذاتى**".

يبقى أن نتعرف على دور الإفخارستيا فى شركتنا مع الثالوث القدوس بعد أن نشبع بأسفار الكتاب والقراءات "**كلمة الله المكتوبة**"..

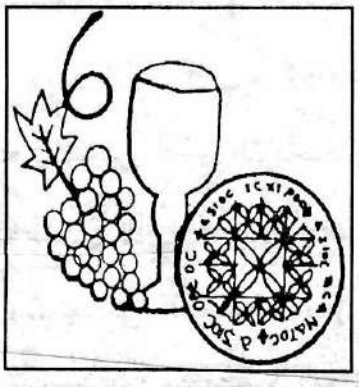

رابعًا: الإفخارستيا.. والثالوث

نحن نلتقى فى الإفخارستيا بإلهنا الواحد فى الجوهر، المثلث الأقانيم (**الآب والابن والروح القدس**) بطريقة سرية رائعة..

أولاً: الآب خلقنا بالابن فى الروح القدس :

ففى "**صلاة الصلح**"، نلتقى مع "**الآب السماوى.. الذى جبل الإنسان على غير فساد..**" وكذلك فى "**مستحق وعادل**".. حيث نرى الآب السمائى الذى خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، والملائكة ورؤساء الملائكة قيام حوله، يرتلون قائلين: "**قدوس قدوس، قدوس، رب الجنود**".

ثانيًا: الابن تجسد ببذل الآب وعمل الروح القدس :

وفى "**تجسد وتأنس**".. نتقابل مع قصة الفداء، حيث نقول عن أقنوم الابن: "**وفى آخر الأيام ظهرت لنا نحن الجلوس فى الظلمة وظلال الموت، بابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، هذا الذى من الروح القدس، ومن مريم العذراء، تجسد وتأنس وعلمنا طرق الخلاص، وأنعم علينا بالميلاد الذى من فوق بواسطة الماء والروح.. أحب خاصته.. أسلم ذاته فداء عنا إلى الموت الذى تملك علينا.. وقام من بين الأموات فى اليوم الثالث، وصعد.. وجلس..**".

ثم تأتى صلوات التقديس، فيذكر الكاهن كيف أن الرب "**أخذ خبزًا على يديه.. وشكر وبارك وقدس.. وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدى.. والكأس أيضًا.. إلخ**". ويوصينا أنه كلما أكلنا جسده وشربنا دمه نبشر بموته ونعترف بقيامته.. فنهتف مصممين على ذلك.

ثالثًا: الروح يقدسنا بمشيئة الآب وذبيحة الابن :

يصيح الشماس: "**اسجدوا لله بخوف ورعدة**".. بينما الكاهن ينسكب فى خشوع مصليًا: "**نسألك أيها الرب إلهنا، نحن عبيدك الخطاة، غير المستحقين، نسجد لك بمسرة صلاحك، ليحل روحك القدوس علينا، وعلى هذه القرابين الموضوعة، ويطهرها، وينقلها، ويظهرها**

قدسًا لقديسيك"، ويرشم الكاهن قربانة الحمل ثلاث مرات صارخًا: **"وهذا الخبز يجعله جسدًا مقدسًا له"**، وكذلك الكأس: **"وهذه الكأس أيضًا، دمًا كريمًا للعهد الجديد الذى له".**

وبعد ذلك.. إذ يجد الكاهن عمانوئيل قائمًا فى وسطنا بمجد أبيه والروح القدس، يبدأ الطلبات من أجل: **الكنيسة، والآباء، والاجتماعات، والخدام، والرهبان، وكل الشعب، والزروع والأهوية والمياه، ومجمع القديسين، والراقدين..** إلخ.

ثم يصلى **"القسمة"**، ويوزع الأسرار المقدسة على الشعب، فيتحد الكل بالرب يسوع، وبالسمائيين، وببعضهم البعض.. هذه كانت لمحة سريعة عن الليتورجيا المقدسة، التى يجب أن تكون محور التعليم الأرثوذكسى، بما تتضمنه من مفاعيل وصلوات وبركات تعاليم لاهوتية وروحية.. **لكن هناك بعض العقبات أمام الشباب.. فما هى؟**

تطبيق حياتى : ماذا يعطل *البعض* أحيانًا من *التمتع* ببركات الإفخارستيا ؟

١- **عدم فهم** أهمية السر **لخلاصهم وحياتهم الروحية**، وأنه الطريق الأكيد للثبات فى المسيح.

٢- **عدم فهم** أهميته **للحياة الأبدية** والقيامة الثانية.

٣- **عدم التوبة** والانتظام فى الاعتراف والاستعداد الروحى، فنخاف من الآية التى تقول: **"لِيَمْتَحِنِ الإِنْسَانُ نَفْسَهُ وَهكَذَا يَأْكُلُ مِنَ الْخُبْزِ وَيَشْرَبُ مِنَ الْكَأْسِ. لأَنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ بِدُونِ اسْتِحْقَاقٍ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ دَيْنُونَةً لِنَفْسِهِ غَيْرَ مُمَيِّزٍ جَسَدَ الرَّبِّ"** (١كو ١١:٢٨-٢٩).

٤- **الخوف من "عدم الاستحقاق"** بأن التناول بدون استحقاق له مخاطره **(١كو ١١:٢٩-٣٠)**، أوعدم فهم مدلول هذه الكلمة.. وأن كل ما تعنيه هو الاستعداد بالتوبة القلبية والانتظام فى الاعتراف.. وليس الحياة بلا خطية أو تعثر.. **"فليست خطية بلا مغفرة إلا التى بلا توبة"**، فبالتوبة نحصل على حلّ بالتناول.

٥- **الخوف من الرجوع** إلى الخطية مرة أخرى، مع أن التناول المستمر هو علاج للخطية، وهو القوة التى تمنعنا من الرجوع، ومعروف أن باب التوبة مفتوح دائمًا، والمهم هو الجهاد ضد الخطية، وفإذا سقطنا نقوم ونقول: **"لاَ تَشْمَتِي بِي يَا عَدُوَّتِي، إِذَا سَقَطْتُ أَقُومُ إِذَا جَلَسْتُ فِي الظُّلْمَةِ فَالرَّبُّ نُورٌ لِي"** (مى ٧:٨).

٥ القديس البابا أثناسيوس.. حامى الإيمان

"وَأَمَّا أَنْتَ فَاثْبُتْ عَلَى مَا تَعَلَّمْتَ وَأَيْقَنْتَ، عَارِفًا مِمَّنْ تَعَلَّمْتَ" (٢تى ٣: ١٤)

لقد تعرض الإيمان المسيحى لكثير من الهرطقات والبدع المنحرفة والخاطئة على مر التاريخ، وقد قاومت الكنيسة هذه التعاليم الغريبة، ودحضت كل الأخطاء التى بها. وقد بذل **القديس أثناسيوس الرسولى** كل الجهد طوال حياته من أجل تثبيت الإيمان المستقيم وحمايته، والتمسك به من أجل خلاص الكنيسة، وحياتها فى ربنا يسوع المسيح، والحياة الأبدية معه.. **على النحو التالى :**

أولاً: التكوين الكنسى واللاهوتى للقديس أثناسيوس

ولد **القديس أثناسيوس** نحو عام ٢٩٦م من أبوين وثنيين، وقد تعلم فى المدرسة الوثنية بالإسكندرية. ولكنه كان يصادق الأولاد المسيحيين الذين فى نفس عمره، وقد شاهده البابا ألكسندروس الـ ١٩ يومًا يلعب مع الأطفال على شاطئ البحر، ويقوم بدور الأسقف فى تغطيس الأطفال، الذين لم يكونوا مسيحيين لتعميدهم.. وقد آمن أثناسيوس ووالدته بالمسيح ونالا سر المعمودية. وقد أحبه قداسة البابا، واعتبره كابن له. وأرسله إلى مدرسة الإسكندرية اللاهوتية لأجل تعليمه.

وقد ساهمت المدرسة فى تكوين شخصية أثناسيوس الكنسية واللاهوتية والثقافية. فأوقدت ذهنه، وصقلت فكره وعقله بالدراسات الكتابية واللاهوتية والفلسفية. فصار الرجل الكنسى واللاهوتى القدير، حيث تعتبر كتاباته هى جزء أساسى فى لاهوتكنيسة الإسكندرية..

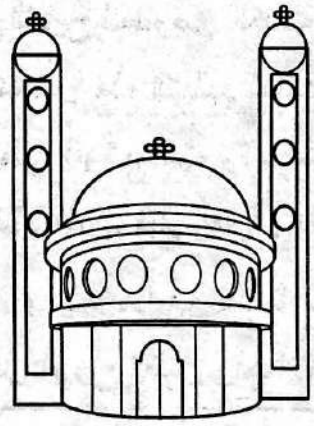

ويكفى أن نذكر تأليف أثناسيوس لكتابين هامين، وهو مازال شابًا لم يتجاوز عمره ٢٢ عامًا، وهما:

أ- **"ضد الوثنية"** وهى رسالة إلى الوثنيين، يفند فيها معتقداتهم وأخلاقهم، ويؤكد على حقيقة الإيمان بالله الواحد.

ب- "**تجسد الكلمة**" وفيه يشرح تجسد رب المجد يسوع المسيح، ومدى ضرورة هذا التجسد الإلهى لفداء البشرية وخلاصها.

من ناحية أخرى اختاره البابا ألكسندروس تلميذاً وسكرتيرًا له، كما سامه شماسًا، فكان يبذل كل جهده فى الخدمة والتعليم، وبالأخص فى شرح الإيمان المسيحى المستقيم وتفنيد هرطقة أريوس.

أضف إلى ذلك تلك الفترة التى عاشها فى البرية مع القديس أنطونيوس الكبير، فاستقى منه الإيمان المعاش، والروحانية الفائقة والحياة النسكية الحقيقية. وكم تأثر به تأثيرًا بالغًا، وارتبط به ارتباطًا وثيقًا. وكان يشعر دائمًا أن القديس أنطونيوس الكبير هو عون كبير له، حتى بعد نياحته. وقد سجل القديس أثناسيوس هذا فى كتابه "**حياة أنطونيوس**"، والذى كان له الدور الرئيسى فى معرفة العالم بالرهبنة القبطية والأخذ عنها.

ثانيًا: القديس أثناسيوس عملاق نيقية

عقد المجمع المسكونى الأول فى مدينة نيقية (أزنيق حاليًا بتركيا) عام ٣٢٥م، بسبب هرطقة آريوس الذى أنكر لاهوت السيد المسيح، ولم يعتبره مساويًا للآب. وقد حضر هذا المجمع ٣١٨ أسقفًا، وأيضًا الإمبراطور قسطنطين الكبير.. وكان الشماس أثناسيوس مرافقًا للبابا ألكسندروس.

وعندما ناقش أعضاء المجمع آريوس فى أفكاره وتعاليمه المنحرفة، كان من أبرز المتحاورين معه الشماس أثناسيوس. وكان عمره وقتئذ ٢٥ عامًا. وقد انبرى هذا اللاهوتى العملاق لآريوس، وأفحمه بردوده القوية، وحججه الرائقة، وأسلوبه الرصين، وبديهيته السريعة وذهنه الحاضر، فى ملاحقة آريوس بكل العمق والفهم والشرح لنصوص الكتاب المقدس، سواء تلك التى يستخدمها آريوس، أو التى يذكرها هو لدحض هذه التعاليم الفاسدة.. وقد أثار حوار أثناسيوس إعجاب الآباء الأساقفة الحاضرين نظرًا لقوة بلاغته وفصاحته ودقة تعبيراته اللاهوتية، بل أخذت الدهشة الإمبراطور قسطنطين، فقام وقال لأثناسيوس: "**أنت بطل كنيسة الله**".

ونذكر هنا أنه عندما احتد النقاش حول العلاقة بين الآب والابن. تدخل أثناسيوس بوحى من الروح القدس وأضاف عبارة (**مساو للآب فى الجوهر**)..

وأخيرًا اتفق الحاضرون على عقد لجنة لصياغة قانون الإيمان، وكان لأثناسيوس الدور الرئيسى والبارز فى صياغة قانون الإيمان (**بالحقيقة نؤمن بإله واحد.. الذى ليس لملكه انقضاء**)، وقد أقر المجمع هذا القانون، وعرف بقانون إيمان نيقية.

ثالثًا: القديس أثناسيوس يواجه الأريوسيين

اجتمعت كلمة المؤمنين على اختيار أثناسيوس ليكون بطريركًا للكنيسة بعد نياحة البابا ألكسندروس. وقام الآباء الأساقفة بسيامته بطريركًا فى عام ٣٢٨م.

ولكن الإمبراطور قسطنطين أصدر فى نفس العام قرارًا بعودة الأساقفة الأريوسيين – الذين حرمهم مجمع نيقية – من منفاهم. وكذلك صدر العفو الإمبراطورى عن آريوس لتبدأ مؤامرات الأريوسيين ضد آباء نيقية، وفى مقدمتهم البابا أثناسيوس؛ وكان يَوسابيوس أسقف نيقوميديا (إزميد حاليًا بتركيا) الآريوسى هو القوة الشيطانية الأولى فى هذا التآمر، فاستطاع بالمكر والدهاء، أن يوغر صدر الإمبراطور قسطنطين ضد البابا أثناسيوس، مستغلاً رفضه قبول آريوس فى شركة الكنيسة بناء على طلب الإمبراطور، إلى جانب تقديم العديد من الإتهامات والوشايات ضده، بعد تحالفه مع الأساقفة الملتيين فى مصر (أتباع ملتيوس أسقف أسيوط المنشق)، نذكر منها:

- أن البابا يحارب الإمبراطور شخصيًا بسن القوانين وفرض الضرائب وجمع الأموال، منع وصول القمح المصرى إلى القسطنطينية.
- مساعدة الثائرين ضد الإمبراطور. – ضرب خصومه، وقتل الأسقف أرسانيوس.
- الاعتداء على إحدى العذارى.

مجمع صور والنفى الأول للبابا أثناسيوس :

أراد الإمبراطور قسطنطين أن يعقد مجمعًا فى قيصرية فلسطين لوضع حدًا للصراع بين الآريوسيين والبابا أثناسيوس، الذى رفض بدوره فكرة عقد المجمع لأنه سيكون أداة يستخدمها الآريوسيين لصالح أغراضهم.. وقد استغل يوسابيوس النيقوميدى وأعوانه هذا الرفض، وأوعز للإمبراطور أن البابا أثناسيوس متعاليًا عليهم، وأنه لا يهتم بسلام الكنيسة والإمبراطورية. وعليه أصدر الإمبراطور قرارًا بدعوة الأساقفة لحضور مجمعًا فى مدينة صور (بلبنان حاليًا) لمحاكمة البابا أثناسيوس. وذلك عام ٣٣٥م.

وفى هذا المجمع كانت هناك الإتهامات الباطلة، والتقارير المزورة ضد البابا الذى ذهب إلى القسطنطينية لمقابلة الإمبراطور للتظلم مما يحدث فى هذا المجمع. فانتهز الحاضرون الفرصة، وأصدروا قرارهم بعزل البابا أثناسيوس عن كرسيه. واعتمد الإمبراطور هذا القرار بل واستصدر مرسومًا يقضى بنفى البابا أثناسيوس إلى مدينة تريف (بجنوب فرنسا حاليًا). فأبحر إلى هناك فى فبراير عام ٣٣٦م، واستقبله أسقف المدينة وكنائس الغرب بكل الفرح والسرور لأنه **بطل الإيمان**.

المؤامرات الأريوسية المستمرة :

ظن الآريوسيون أنهم انتصروا على البابا أثناسيوس بعزله عن كرسيه ونفيه خارج الإسكندرية، بل واصلوا أعمالهم وتصرفاتهم ومؤامراتهم ضد الإيمان النيقاوى وضد القديس أثناسيوس، **فحدث مايلى:**

١- عقد الآريوسيون مجمعًا فى أورشليم وقرروا فيه عودة آريوس إلى شركة الكنيسة. وأرسلوا إلى جميع أساقفة العالم لقبوله بعد رفع الحرم عنه.

٢- ذهب آريوس إلى الإسكندرية ولكن المصريون تصدوا له، وأغلقت الكنائس فى وجهه، وحدث اضطراب كبير، فأمره الإمبراطور أن يترك الإسكندرية.

٣- عقد الآريوسيون مجمعًا آخر فى القسطنطينية عام ٣٣٦م، من السنكسار أكدوا فيه قبول آريوس، وعزل الأساقفة الذين لا يقبلونه فى شركتهم.

٤- موت الإمبراطور قسطنطين عام ٣٣٧م، بعد أن نال سر المعمودية بيد يوسابيوس أسقف نيقوميديا الآريوسى. واقتسام أولاده الثلاثة الإمبراطورية.

٥- الإمبراطور قسطنطين الثانى إمبراطور الغرب يصدر قرارًا بعودة البابا أثناسيوس إلى كرسيه، وموافقة أخيه قسطنطينوس إمبراطور الشرق على ذلك.

٦- يوسابيوس ينجح فى إقناع الإمبراطور قسطنطينوس لنقله أسقفًا للقسطنطينية بدلاً من نيقوميديا.

٧- الآريوسيون يثيرون الاضطرابات فى مصر، ويشيعون أن القديس أنطونيوس الكبير يؤمن بتعاليمهم. والقديس يترك وحدته ويأتى إلى الإسكندرية لمساندة البابا أثناسيوس مؤكدًا أن "**إيمانه هو إيمان أثناسيوس**".

٨- عقد الآريوسيون مجمعًا فى أنطاكية عام ٣٣٩م، قرروا فيه عدم أحقية البابا أثناسيوس العودة إلى كرسيه. وعينوا غريغوريوس الكبادوكى بدلاً منه. والإمبراطور قسطنطينوس صدق على القرار.

٩- البطريرك الآريوسى الدخيل دخل إلى الإسكندرية بالقوة، والمصريون رفضوه، واعتصموا بالكنائس. أما هو وجنوده فهاجموا الكنائس، وأشعلوا النار فيها، وضرب المؤمنين وقتل الكثيرين من الرجال والنساء والأطفال فى مذبحة مروعة يوم الجمعة الكبيرة، وعاود الكبادوكى هجومه ليلة عيد القيامة بهدف الوصول إلى البابا أثناسيوس.

١٠- البابا أثناسيوس يذهب إلى روما نزولاً على رغبة الأساقفة والشعب، ويكتب رسائل إلى أساقفة العالم يندد فيها بالمذبحة الآريوسية، وظل هناك ٤ سنوات هى فترة النفى الثانية.

١١- يوليانوس أسقف روما وصديق البابا أثناسيوس عقد مجمعًا فى عام ٣٤٠ بتأييد من الإمبراطور الغربى قسطانز ويقرر:

- تبرئة البابا أثناسيوس من كل التهم المنسوبة إليه.
- عدم الاعتراف بعزل البابا أثناسيوس واعتبار قرارات مجمع صور باطلة.
- عدم قانونية تعيين غريغوريوس الكبادوكى على كرسى الإسكندرية.
- تبرئة الأساقفة الذين عزلهم الآريوسيون، وعودتهم إلى كراسيهم.

١٢- الآريوسيون رفضوا قرارات مجمع روما، وعقدوا مجمعًا فى أنطاكية عام ٣٤١ م بمناسبة تدشين الكنيسة الذهبية هناك (يسمى مجمع أنطاكية التدشينى)، وبحضور الإمبراطور قسطنطيوس. وقرروا فيه رفض قرارات مجمع روما. كما وضعوا قانونًا إيمانيًا جديدًا مناهضًا لقانون إيمان نيقية، ويعرف بمرسوم التدشين.

١٣- موت يوسابيوس النيقوميدى عام ٣٤٢م. والإمبراطور قسطانز أيَّد **البابا أثناسيوس**، واتفق مع أخيه الإمبراطور قسطنطيوس على عقد مجمع فى سرديكا عام ٣٤٣م ليوضع حدًا لهذا الصراع، يحضره النيقيون والآريوسيون.. ومن البداية عمل الآريوسيون على إفشال هذا المجمع بهروبهم من المدينة بحجة استدعاء قسطنطيوس لهم، بل أنهم عقدوا مجمعًا خاصًا بهم أكدوا فيه قراراتهم السابقة بخصوص البابا أثناسيوس، وعلى حرم وعزل أسقف روما أيضًا.

١٤- الأساقفة المجتمعون فى سرديكا برئاسة هوسيوس أسقف قرطبة **يقررون ما يلى :**

- إقرار قانون إيمان نيقية ٣٢٥م.
- تبرئة البابا أثناسيوس وعودته إلى كرسيه.
- تبرئة الأساقفة وعودتهم إلى كراسيهم.
- عدم قانونية تعيين غريغوريوس الكبادوكى على كرسى الإسكندرية.
- عزل وحرم بعض الأساقفة الآريوسيين.

١٥- الإمبراطور قسطانز يكتب لأخيه قسطنطيوس لقبول قرارات مجمع سرديكا ٣٤٣م. ويوافق على عودة البابا أثناسيوس إلى الإسكندرية رغمًا عنه.

تجدد الصراع مع الآريوسيين :

توالت الأحداث والمواجهات كما يلى :

١- البابا أثناسيوس يعقد مجمعًا فى الإسكندرية، يقر فيه قرارات مجمع روما ٣٤٠م، ومجمع سراريكا ٣٤٣م.

٢- مصرع الإمبراطور قسطانز، وأخيه قسطنطيوس يضع خطة للقضاء أولاً على الأساقفة النيقيين، والموالين للبابا أثناسيوس، ثم يوجه كل جهده ثانيًا نحو القديس أثناسيوس.

٣- قام الإمبراطور قسطنطيوس بعقد مجمعًا فى آرل بجنوب فرنسا عام ٣٥٣م، يدين فيه البابا أثناسيوس، وقرر عزله من كرسيه، إلى جانب قبول جميع الأساقفة الآريوسيين.. ثم عقد مجمعًا آخرًا فى ميلان فرض فيه على أساقفة الغرب التوقيع على قرار المجمع الأول، أما الرافضون فأصدر قرارًا بنفيهم، ومنهم ليباريوس أسقف روما وهوسيوس أسقف قرطبة وهيلاريون أسقف بوانبيه.

٤- أرسل الإمبراطور حملة عسكرية إلى الإسكندرية للقبض على البابا أثناسيوس، وهروب البابا والاختباء فى الإسكندرية والأديرة، وتعتبر هذه فترة النقى الثالثة لمدة ٦ سنوات.

٥- الإمبراطور عين جورج الكبادوكى أسقفًا للإسكندرية بدلاً من البابا أثناسيوس عام ٣٥٧م، ورفض الأساقفة والمصريين له، ولكنه استخدم كل أنواع العنف لدخول الإسكندرية واستلام الكنائس، وقيام ثورة شعبية ضده حتى تمكنوا من منعه وقتلوه.

٦- عقد الآريوسيون تجمعًا فى سيراميوم بإيطاليا عام ٣٥٧م بحضور الإمبراطور، وإصدار مرسوم إيمانى عرف بـ "مرسوم سيراميوم الثانى" أو "مرسوم التيريف".

٧- عقد أساقفة الغرب مجمعًا فى يمينى بإيطاليا عام ٣٥٩م، يؤكدون فيه قانون إيمان نيقية، ورفض قانون إيمان سيراميوم الآريوسى، بينما عقد الآريوسيون مجمعًا آخرًا فى سلوقية بسوريا فى نفس العام لمناقشة كل قوانين الإيمان الصادرة (نيقية - أنطاكية التدشينى - سيراميوم الثانى)، ولكن حدث انقسام بين الآريوسيين وبعضهم البعض، وانتهى المجمع دون الوصول إلى قرار واحد.

٨- قام الإمبراطور قسطنطيوس بعقد مجمعًا فى القسطنطينية عام ٣٦٠م، يقر فيه قانون إيمان جديدًا، هو نفس قانون سيراميوم الثانى الأريوسى، مع بعض التعديلات عليه. واستخدم القوة الجدية على جميع كنائس العالم لقبول هذا القانون، وهكذا صار العالم كله أريوسيًا بفعل هذا القانون الإمبراطورى.

٩- البابا أثناسيوس أعلن بكل قوة رفضه لهذا القانون الجديد، وأنه ضد العالم من أجل حفظ إيمان نيقية المستقيم. فكتب رسائل إلى أساقفة العالم يفند فيها الآريوسية، ويحثهم على التمسك بإيمان نيقية.

١٠- موت الإمبراطور قسطنطيوس عام ٣٦١م. واعتلاء الإمبراطور جوليان المرتد العرش. وإصدار عفو عن جميع الأساقفة النيقيون والآريوسيون للعودة إلى كراسيهم. وقيام الاضطرابات والصراعات بين الفريقين.

١١- البابا أثناسيوس يعود إلى الإسكندرية ويعقد مجمعًا ٣٦٢م، يعلن فيه شجب ورفض كل القوانين الإيمانية الصادرة بعد مجمع نيقية ٣٢٥م. إلى جانب قبول الأساقفة فى شركة الكنيسة بعد إعلان توبتهم والاعتراف بنيقية.

١٢- الإمبراطور جوليان يندد بالبابا أثناسيوس، ويصدر قرارًا بنفيه، فهرب إلى صعيد مصر، وهى فترة النفى الرابعة.. ولكن الإمبراطور يموت فى حملة عسكرية ضد

العرش عام ٣٦٣م، ويتولى الإمبراطور جوفيان حكم الإمبراطورية، الذى أعاد البابا أثناسيوس مرة أخرى إلى كرسيه، وطالبه بكتابة قانون إيمان يكون هو قانون إيمان الكنيسة الواحدة وللإمبراطورية كلها شرقًا وغربًا.. **فكتب القديس نص قانون إيمان نيقية المدعم بنصوص الكتاب المقدس**، واعتمده الإمبراطور.

رابعًا: نهاية الآريوسية

عمل البابا أثناسيوس على تأكيد إيمان نيقية، وكشف أباطيل وانحرافات الآريوسية.. ولكن لم يمض كثير من الوقت حتى مات الإمبراطور جوفيان، وتولى حكم الشرق الإمبراطور فالنز الآريوسى، الذى عاد من جديد لتدعيم الآريوسية. فأصدر أمره بطرد ونفى جميع الأساقفة النيقيين، أما البابا أثناسيوس فأرسل حملة عسكرية للقبض عليه عام ٣٦٥م، ولكنه هرب واختبأ بمقبرة أبيه لتبدأ فترة نفيه الخامسة.

ولكن أساقفة الغرب النيقيون تقابلوا مع الإمبراطور الغربى فالنيفان، وأكدوا تمسكهم بإيمان نيقية، والتأكيد على شرعية البابا أثناسيوس.

وفى مصر قامت ثورة عارمة ضد الإمبراطور فالنز، الذى اضطر إلى إصدار عفو عن البابا أثناسيوس، خاصة مع تأييد أخيه فالفتيان لقداسة البابا. وهكذا أعاد البابا أثناسيوس إلى كرسيه عام ٣٦٦م.

وفى عام ٣٦٩م عقد البابا أثناسيوس مجمعًا فى الإسكندرية، أيد فيه أسقف روما وأساقفة الغرب، وأدان أسقف ميلان الأريوسى، وأوصى بضرورة حفظ إيمان نيقية.

كما قام بكثير من الاتصالات بالآباء الكبادوك، وفى مقدمتهم القديس باسيليوس الكبير، من أجل حفظ الإيمان النيقاوى وحمايته، وتفنيد كل التعاليم الأريوسية المنحرفة.. وتراجع الآريوسيون واندحروا، وعاد العالم المسيحى من جديد إلى إيمان نيقية المستقيم..

وفى عام ٣٧٣م رقد البابا أثناسيوس فى الرب، بعد أن جلس على كرسى مارمرقس الرسول خمسة وأربعون عامًا، دافع فيها عن الإيمان، ولقبته الكنيسة "**بالرسولى**" و"**حامى الإيمان**" نظير جهاده العظيم من أجل حماية الإيمان والحفاظ عليه.

٦ باقة من الشهداء

تتميز كنيستنا القبطية الأرثوذكسية بأنها كنيسة أم الشهداء، فقد كان آباؤنا الشهداء يستقبلون العذابات، وحتى سفك الدماء والموت، ليس فقط باحتمال ورِضَى، وإنما بالأكثر بفرح. وقيل عن الآباء الرسل الاثنى عشر، لما جلدوهم وألقوهم فى السجن أنهم: "**ذَهَبُوا فَرِحِينَ مِنْ أَمَامِ الْمَجْمَعِ، لأَنَّهُمْ حُسِبُوا مُسْتَأْهِلِينَ أَنْ يُهَانُوا مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ**" (أع ٥:٤١).

- ومع أنهم يحبون الحياة فقد خلقنا لنحيا مع "**الْمَسِيحُ حَيَاتُنَا**" (كو ٣:٤)، ولكنهم يرون الاستشهاد هو أقصر طريق يؤدى إلى أفراح السماء.. إنها مجرد لحظات وساعات، يكونون بعدها فى أحضان آبائنا: إبراهيم وإسحق ويعقوب، وفى مجمع القديسين..
- وكانوا يرون الاستشهاد شركة فى آلام المسيح، وشركة معه فى موته، وبالتالى شركة معه فى مجده "**إِن كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضًا مَعَهُ**" (رو ٨:١٧). ويثقون بالإيمان بما أعده الرب لمحبى اسمه القدوس، الذين يقبلون الآلام لأجله، ويرون أن الاستشهاد هو خير تعبير يعبرون به عن محبتهم لله وصدق إيمانهم. وكما يقول الكتاب: "**لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا: أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ أَحِبَّائِهِ**" (يو ١٥:١٣) فكم بالأولى عن الإيمان، أو العقيدة، أو الطهارة، وتمسكه بالرب يسوع والحياة الأبدية معه!!.. **فأسباب الاستشهاد وطرقه ووسائله عديدة:**

أولاً: شهداء من أجل الإيمان

١- القديس بوليكاربوس أسقف أزمير :

كان فى حداثته ممن يستمعون للقديس يوحنا الرسول، وتتلمذ على يديه. وقد أقامه القديس يوحنا أسقفًا لأزمير. وأغلب الظن أنه هو ملاك كنيسة سميرنا (أزمير)، التى ذكرها القديس يوحنا الحبيب فى رؤياه (رؤ ٢:٨).

كتب أغناطيوس الشهيد الأنطاكى إليه فى إحدى رسائله، وهو فى طريقه إلى الاستشهاد، يقول: (أن الزمن فى حاجة إليك احتياج البحارة إلى الريح، واحتياج مَنْ تتقاذفه أمواج البحر إلى مرفأ. فتأهب كما يليق برجل الله. أثبت كما يثبت السندان تحت ضربات المطرقة. فواجب جندى الله أن يتلقى الضربات، ثم ينتصر. كن دؤوبًا أكثر مما أنت، وتعلم كيف تُمَيِّز الأزمنة). وكأنما كانت تلك الكلمات نبوءة. فقد ظل أربعين أو خمسين سنة بعد ذلك ثابتًا فى مكانه لا يتزعزع، يعلم الأجيال ما تلقاه من الرسل، مقاومًا كل انحراف فى التعليم.

وفى سنة ١٥٥م، وفى عهد الإمبراطور أنطونيوس بيوس اندلعت نار الاستشهاد مستعرة فى أزمير (فى تركيا).. فعذب عدد كبير من المسيحيين، وألقى بهم للوحوش الضارية. وطالب الوثنيون بالبحث عن القديس بوليكاربوس.

وقبل القبض عليه بثلاثة أيام، بينما كان يصلى، أُخِذَ فى غيبوبة، ورأى الوسادة التى تحت رأسه تحترق. فالتفت لمن حوله، وقال لهم: "**لابد أننى سأحرق حيًا**".. وكان فى استطاعته الهرب. ولكنه أبى قائلاً: "**لتكن إرادة الله**".. وقد أثار جلال شيخوخته (٨٦ عامًا)، وحضور ذهنه، إعجاب من حوله، وهو يحادث من جاءوا للقبض عليه.. وطلب ممن أتوا للقبض عليه أن يتأنوا عليه ساعة ليصلى بمفرده، فوقف وصلى، وكان ممتلئًا نعمة وسلامًا، وفى الطريق أخذوا يستميلونه بالرجوع عن الإيمان، والتبخير للأوثان، ولم يرضخ لكلامهم.

وإذ فشلوا فى إقناعه، هددوه وأهانوه ، ودفعه أحدهم بشدة إلى أسفل من المركبة فجرحت ساقه، ودون أن يلتفت إلى الخلف، أكمل سيره إلى الملعب، حيث كان الوالى وجمهور كثير من الوثنيين هناك.

وبينما هو داخل إلى الملعب، جاءه صوت من السماء يقول: " **تقوَّ يا بوليكاربوس وكن رجلًا**". فتقدم نحو الحاكم، ولما تأكد من شخصيته أنه هو بوليكاربوس، حاول أن يستميله (وقر شيخوختك). وحثه الوالى أن يحلف ويلعن المسيح ليطلقه، فأجاب بوليكاربوس: (**لقد خدمت المسيح ستة وثمانين عامًا، ولم يصنع بى شرًا، فكيف أجدف على ملكى الذى خلصنى؟!**).

وعاد الوالى وألح، وقال: (أقسم بعبقرية قيصر)، فأجاب بوليكاربوس: **(لا تظن أنى سوف أقسم بعبقرية قيصر كما تطلب، كأنك لا تعرف حقيقتى: إنى مسيحى. وإذا كنت على استعداد لمعرفة العقيدة المسيحية، فاسمح لى بيوم لتسمعنى فيه)**.

فقال له الوالى: إن لم تعدل عن رأيك فسألقيك للوحوش المفترسة، أو سأحرقك بالنار.

فرد القديس بوليكاربوس: (أنك تهدد بالنار التى تحرق لوقت قصير)، وظهرت عليه النعمة، وطفق يقول له: **(افعل ما تريد.. لماذا تتأخر؟)**.

وبينما كان يقول هذه الأقوال وغيرها، كان ممتلئًا شجاعة وفرحًا، حتى أن الوالى تملكته الدهشة، وأعلن ثلاث مرات وسط الملعب: (لقد اعترف بوليكاربوس أنه مسيحى). وللحال صاح المجتمعون، وثنيون ويهود: (هذا هو معلم آسيا كلها، وأبو المسيحيين، مبدد آلهتنا، الذى يعلم كثيرين ألا يضحوا لها أو يعبدوها).. واستمروا فى صياحهم.. وأخيرًا صدر الحكم بحرقه حيًا.

- أسرع الوثنيون واليهود بحماس عجيب - وجمعوا الحطب والأخشاب، ليضرموا نارًا شديدة. ولما حاولوا تسميره على خشبة، حتى لا يتحرك من حرق النار قال لهم: (اتركونى هكذا فإن الذى وهبنى قوة لكى أحتمل شدة حريق النار، هو نفسه سيمنحنى قوة أن أبقى هادئًا وبلا حركة بدون مسامير).

ولما أنتهى من صلاته تقدم إليه الجنود وأوقدوا النار "وأشتعلت النار مستعرة، وإذ بنا نرى عجبًا، أتخذت النار شكل قوس كبير، أشبه بشراع سفينة، فأحاط بجسد الشهيد كأنما هو جدار. ووقف الرجل وسط النار - لا كجسم يحترق - بل كخبز ينضج، أو أشبه بذهب أو فضة ينقى فى الفرن. اشتم الجميع عبيرًا حلوًا كأنما قد إنتشر فى الجو حولهم عبير بخور أو طيب ثمين".

ويروى أن المكلفين بإحراق القديس، أصابهم القلق لبطء النار فى التهام جسده، فأمروا جلادًا أن يغمد خنجرًا فى جسده.. ولما فعل ذلك تفجر الدم غزيرًا فأطفأ النار. وتعجب الجمع وقالوا أنه لم يكن رجلاً كسائر البشر. وجمع الأخوة فى أزمير حطام عظامه، ووضعوها فى مكان لائق. وتناقلت الكنائس وصف إستشهاده، الذى كتبه مسيحيو أزمير حتى تشارك جميع الكنائس فى تمجيد الله.

إن قصص الشهداء والشهيدات كثيرة جدًا.. سجلها لنا يوليوس الأقفهصى، ومنها شهداء بطريقة فردية وشهداء بطريقة جماعية، ويُقرأ بعضها من السنكسار بالقداس يوميًا حسب تذكارات استشهادهم.. وكما كان هكذا يكون.. فمازالت دماء الأبرياء تسال..

٢- الشهداء الشامخون.. الـ ٢١ مصرى بليبيا :

وفى عصرنا الحالى.. قد كان يومًا مجيدًا وتاريخيًا، يوم استشهاد واحد وعشرين شهيدًا من أجل إيمانهم بالمسيح.. وهؤلاء لم يكونوا شهداء فقط، بل كانوا معترفين أيضًا، حيث قيل أنهم قضوا حوالى ٤٥ يومًا فى تعذيب، وترغيب، وترهيب، ومحاولات إغراء مستمر لترك الإيمان المسيحى حتى يفلتوا من القتل والشهادة، ولكنهم - جميعًا - رفضوا ذلك بإستماتة، وتمسكوا بمسيحهم ومسيحيتهم، أمام أشرار إرهابيين، وتحت حد السكين!!

عندنا فى تاريخنا شهداء بلا حصر، قدموا دماءهم رخيصة من أجل المسيح! وعندنا معترفون، شهدوا للمسيح واحتملوا التعذيب! أما هؤلاء فجمعوا بين الاثنين: الاعتراف والشهادة!! وقفوا شامخين ثابتين، مرفوعى الرأس والهامة، وعيونهم مثبتة نحو مسيحهم الحىّ، وفاديهم المحب، ومخلصهم القدوس!!

وكانت شفاههم تتحرك بكلمات واحدة: "ياربى يسوع ارحمنى"!.. "ياربى يسوع أعنى"!.. "اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك"!

- لقد ارتفعوا فوق الموت! وانتصروا عليه، وارتفعوا فوق القاتلين! وانتصروا عليهم.

وقد كانت أمنية القاتلين أن يروا واحدًا منهم ينكر إيمانه، ويهرب من الاستشهاد، وفشل انتظارهم!

لقد كان توثيق الفيديو توثيقًا هامًا للأجيال، وأكبر شاهد على الاستشهاد فى المسيحية لا بالنسبة لهؤلاء الشهداء، ولكن لكل شهيد وشهيدة على مر العصور.. فقد رأى العالم كيف يكون الاستشهاد..

✠ ***من الطفولة إلى الشهادة*** : كان هؤلاء أبطال فى الكنيسة المقدسة، أعضاء حية، منذ طفولتهم المبكرة، وحتى ساعة استشهادهم! إنها البذرة التى صارت شجرة، والشجرة التى حملت أثمارًا!!

- البذرة تصير شجرة إيمان وارفة الظلال!
- والشجرة تحمل أغصانًا مثمرة، تشبع العابرين!
- والثمار تعطى حياة روحية مقدسة، ورسوخًا إيمانيًا مجيدًا!

✠ **الدولة والشهداء** : كان موقف الرئيس السيسى ممتازًا فى تعزيته المملوءة محبة ومشاعر! وقد اصدر قرارًا ببناء كنيسة "الـ ٢١ شهيدًا" على نفقة الدولة، وكان موقف الجيش المصرى الباسل فعالًا فى تأديب هؤلاء الأشرار! وكذلك مواقف رئيس الوزراء، والوزراء، والمحافظين، وقيادات مصر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وكل الشعب المصرى بمسلميه ومسيحييه، فى مواقف ممتازة فى دعم أسر الشهداء وتعزيتهم!

✠ **الكنيسة والشهداء** : كانت مشاعر قداسة البابا تواضروس الثانى، ودموعه خير شاهد على حبه لأبنائه.. وقد قام بعدة إجراءات رعوية من أجلهم.. وأيضًا الأحبار الأجلاء والآباء والشعب بمصر والمهجر.. كما تعلمنا كنيستنا المجيدة، ما يقوله الكتاب المقدس: "**فَرَحًا مَعَ الْفَرِحِينَ وَبُكَاءً مَعَ الْبَاكِينَ**" (رو ١٢:١٥).

إن أرواحهم مع أخوتهم الشهداء الآن فى فردوس النعيم !

مع السيد المسيح والسيدة العذراء، والملائكة، والقديسين! يمسكون سعف النخل - علامة الانتصار - ويرتلون ترنيمة الخلاص! فهم أمام الحىّ إلى الأبد!

عاد رآهم يوحنا الحبيب بروح النبوة فقال: "**هَؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ أَتَوا مِنَ الضِّيقَةِ الْعَظِيمَةِ، وَقَدْ غَسَّلُوا ثِيَابَهُمْ وَبَيَّضُوهَا فِى دَمِ الْخَرُوفِ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ هُمْ أَمَامَ عَرْشِ اللهِ وَيَخْدِمُونَهُ نَهَارًا وَلَيْلًا فِى هَيْكَلِهِ، وَالْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ يَحِلُّ فَوْقَهُمْ. لَنْ يَجُوعُوا بَعْدُ وَلَنْ يَعْطَشُوا بَعْدُ وَلاَ تَقَعُ عَلَيْهِمِ الشَّمْسُ وَلاَ شَىْءٌ مِنَ الْحَرِّ، لأَنَّ الْخَرُوفَ** (المسيح المذبوح لأجلنا)، **الَّذِى فِى وَسَطِ الْعَرْشِ يَرْعَاهُمْ، وَيَقْتَادُهُمْ إِلَى يَنَابِيعِ مَاءِ حَيَّةٍ وَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ**" (رؤ ٧:١٤-١٧).

✠ **الشهداء الشامخون** : ماتوا شامخين، رافعين رؤوسهم إلى فوق، وأعينهم إلى السماء، وعلى شفاههم اسم المسيح! كانوا من قرى بسيطة، وعاشوا حياة

فقيرة، لكنهم كانوا أغنياء فى الإيمان، وأثرياء بالملكوت الذى سعوا إليه!

كانت أعمارهم متباينة، ولكنهم تشابهوا فى صلابتهم وصمودهم أمام الموت، وأمام سيوف الإرهابيين!.

ترى من هو المنتصر ؟

- القاتل.. أم **الشهيد؟!** - الأشرار.. أم **الأبرار؟!**
- حامل السيف.. أم **حامل الصليب؟!**

نعم.. هم الظافرون المنتصرون! الذين قتلوا - فقط - لإيمانهم بالمسيح، وتمسكهم بمسيحيتهم!

والرب الذى قبل إليه نفوس الشهداء الأبرار "**سَيُجَازِى كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ أَعْمَالِهِ**" **(رو ٢:٦)**. إذ قال الرب لقايين "**صَوْتُ دَمِ أَخِيكَ صَارِخٌ إِلَىَّ مِنَ الأَرْضِ**" **(تك ٤:١٠)**..

ولا ننسى شهداء: كنيسة القديسين بالإسكندرية، واستشهاد عدد (٢٣) من شعبها أمام الكنيسة، وما قبلهم الكثير والكثير.. إنه قتل على الهُوية.. (قتلوا لأنهم مسيحيون)، بعد صلاة رأس السنة الميلادية..

ولازال الدم الطاهر الذكى يسيل.. مقدمًا مزيدًا من الشهود والشهداء الأمناء والمعترفين من المصابين.. **فقد توالت الأحداث كما فى:**

- أحداث **الكنيسة البطرسية**، حيث استشهد عدد ٢٩ أثناء القداس الإلهى..
- **كنيسة مارجرجس بطنطا**، حيث استشهد عدد ٣٠ من الشهداء أثناء قداس أحد الزعف.
- وهكذا فى نفس اليوم **بالكنيسة المرقسية بالإسكندرية**، حيث استشهد عدد ٨ من الشهداء بعد قداس أحد الزعف.

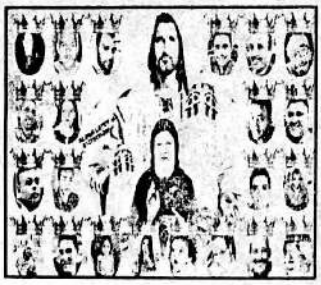

- وأيضًا الحادث الإرهابى فى **طريق دير الأنبا صموئيل**، وقد استشهد عدد ٢٨ من الرجال والنساء والشباب والأطفال.
- وغيرها من أحداث القتل بطريقة فردية كما فى استشهاد **آباء كهنة من العريش والفشن**، وشخصيات عامة.. إلخ.

هذه بعض نماذج قليلة من الشهداء الذين سجلت أسماؤهم فى سفر الحياة..

ثانيًا: شهداء من أجل العقيدة

ما كادت الكنيسة تنتهى من إضطهاد ملوك الدولة الوثنيين، عقب ارتقاء الملك قسطنطين عرش الملك، حتى بدأت تواجه متاعب داخلية خطيرة، نتيجة ظهور البدع والهرطقات الدينية، انتهت بانقسام كنيسة المسيح الواحدة، وشوهت صورة وحدانية الروح والفكر والقلب، وجعلت الضعف يسرى فى أجزائها المختلفة..

ونحن لا ننكر أن هذه المتاعب الداخلية، واجهت الكنيسة منذ العصر الرسولى حتى أن معلمنا بولس الرسول يكتب إلى كنيسة كورنثوس قائلاً: "**أَسْمَعُ أَنَّ بَيْنَكُمُ انْشِقَاقَاتٍ، وَأُصَدِّقُ بَعْضَ التَّصْدِيقِ، لأَنَّهُ لاَبُدَّ أَنْ يَكُونَ بَيْتَكُمْ بِدَعٌ أَيْضًا، لِيَكُونَ الْمُزَكَّوْنَ ظَاهِرِينَ بَيْنَكُمْ**" (**١كو ١١: ١٨-١٩**). لكنها لم تكن من الخطورة حتى تقلق الكنيسة. وقد تمكنت الكنيسة بالروح القدس من القضاء على معظمها من بدون عناء كبير.

لكن الأمر أخذ وضعًا أخطر وأعنف.. إبتداء من عشرينات القرن الرابع المسيحى. وزاد من هذه الخطورة اعتناق بعض ملوك الدولة المسيحيين لبعض هذه البدع والهرطقات. فأخذوا ينكلون بخصومهم فى الرأى والمعتقد بالوسائل العالمية، من نفى وتشريد وقتل.. وصار شهداء العقيدة يعدون بالآلاف. وهذه بعض أمثلة لشهداء أستشهدوا دفاعًا عن العقيدة القويمة.

١- استشهاد جماعى بسبب الآريوسية :

فى عيد العنصرة تواطأ جورجيوس مع سبستيان الهرطوقى، وأحدث مذبحة فى الإسكندرية.. كانت - وقتها - جميع كنائس الإسكندرية فى يد الأريوسيين. ولما لم يجد الأرثوذكسيون كنيسة يحتفلون فيها بعيد العنصرة، ذهبوا إلى مقابرهم ليحتفلوا هناك بالعيد.. وكانت لمقاطعة الشعب لهذا الاسقف الأريوسى الدخيل، أثرها فى تحريك كوامن غيظه، فاستنجد بالهرطوقى سبستيان. فأمر الجند وأرسلهم مدججى السلاح، وساروا فى الطرق المؤدية إلى تلك المقابر، وأغلقوا منافذها حتى لا يستطيع أحد الهرب.. واعتدى الجند على من صادفهم فى الطريق بوحشية، ثم أضرمت نار هائلة للقتل الوحشى.

- **استشهاد السيدات حرقًا:** كانوا يجذبون السيدات ويجبروهن على إعلان الإيمان الأريوسى تحت تهديد الإلقاء فى النيران.. وقد وقفت السيدات وقفات بطولية، فلم ترهبن الموقف، واعترفن بقوة وعلى الملأ بإيمانهن الأرثوذكسى.. إيمان أثناسيوس الرسول وبناء على أوامر الدوق سبستيان.. أخذ الجنود يصفعون السيدات الأرثوذكسيات على وجوههن حتى تورمت، وأصبح من المستحيل التعرف على شخصياتهن.
- أما بالنسبة **للرجال:** فقد جردهم الجند من ثيابهم، وكانوا يضربونهم بكل قسوة ووحشية بجريد النخيل زى الأشواك الحادة جدًا، ويدحرجونهم عليها، فانغرس الشوك فى لحمهم، وأحدث آلامًا قاسية، حتى أن كثيرين ماتوا، والبعض الأخر ظلوا تحت العلاج لمدة طويلة، كما نفى أخرون إلى الواحات فى الصحارى دون مأوى.

٢- استشهاد القديس بولس اسقف القسطنطينية وتلميذيه :

وهذا الذى ناصب الأريوسيين العداء، فقد نفاه الملك الأريوسى قسطنطيوس خمس مرات، وأخيرًا أوعز إلى أحد الأريوسيين فقتله في منفاه ببلاد أرمينيا. ثم ما لبث أن لحق به تلميذاه مركيانوس ومرقوريوس بعد أيام قليلة، إذ أمر الملك بقتلهما بحد السيف، لتمسكهما بعقيدة كنيستنا القبطية الأرثوذكسية، وعدائهما لهرطقة أريوس، والأريوسيين، وعلى رأسهم الملك نفسه.

٣- القديس ثيئودورس :

الذى كان راهبًا بدير قريب من الإسكندرية، أخذته الغيرة الأرثوذكسية أثناء نفى البابا أثناسيوس بسبب الأريوسيين. فكان يناقشهم محاولاً كسبهم بإظهار فساد معتقدهم. فأمر البطريرك الأريوسى بالقبض عليه، وربطه فى رجل حصان جموح، أخذ يسحله فى الشوارع، حتى فاضت روحه الطاهرة.

٤- القديس مقاريوس الاسقف :

وهو أحد الثلاثة مقارات القديسين، والذى نفى مع البابا ديسقوروس بعد مجمع خلقيدونية.. إذ أظهر حرارة فى الإيمان، وثباتًا على المعتقد القبطى الأرثوذكسى، فأرسله البابا ديسقوروس من منفاه سرًا إلى الإسكندرية، لتثبيت المؤمنين. وبوصوله إليها، وجد

رسول الملك مركيان، ومعه طومس لاون، يحاول أن يقنع الآباء بقبوله والتوقيع عليه. ولما طلب رسول الملك إلى القديس مقاريوس التوقيع رفض، وأخذ يحض الباقين على التمسك بإيمان الآباء نظرًا لشيخوخته، ونال إكليل الشهادة.

٥- ثلاثون ألفا أرثوذكسيًا :

وكنتيجة لمجمع خلقيدونية وعزل البابا **ديسقوروس** ونفيه، وتعيين الملك للمدعو بروتيريوس بطريركًا بدلاً عنه، حدث هياج شديد فى الإسكندرية، وقتل بروتيريوس. وقيل أن اللصوص الذين أنقضوا عليه ليسلبوه أمواله (بعد أن سلب أموال كنائس وأديرة الأرثوذكسيين)، هم الذين قتلوه. فغضب الملك مركيان وزاد اضطهاده للمسيحيين، فأرسل عددًا من الجند قائلاً: (أعملوا القتل فى الأقباط الأرثوذكس أينما وجدوا)، فقتلوا منهم حوالى ثلاثين ألفًا.

وفى مدة حكم الملك ليو الذى خلف بلشاريا، نفُى **البابا الأسكندرى تيموثاوس الـ ٢٦ خليفة البابا ديسقوروس**، وبقى فى المنفى لمدة سبع سنوات، حتى خلف ليو ملك آخر، فأعاد البابا تيموثاوس من منفاه. وكان فى فترة غياب البابا عن كرسيه، اجتاحت البلاد ثورات دامية اشتدت ذروتها فى الإسكندرية. وشدد الملكيون (أصحاب بدعة الطبيعتين) إضطهادهم للأرثوذكسيين الأقباط بقصد إخضاعهم لمعتقدهم، فسقط شهداء كثيرون دفاعًا عن معتقد الكنيسة القويم.

٦- مينا شقيق البابا بنيامين البطريرك ٣٨ :

وبعد أن احتمل عذابات كثيرة، منها تسليط مشاعل على جنبيه حتى سال شحم كليتيه، وكسروا أسنانه من كثرة الضرب.. لكنه فى كل ذلك رفض الخضوع لمطلبهم، وهو الإعتراف بمجمع خلقيدونية، وأخيرًا طرحوه فى البحر.. فنال إكليل الشهادة غرقًا.. والتاريخ القبطى الأرثوذكسى ملئ بالشهداء والشهيدات من أجل الحفاظ على عقيدة كنيستنا "**الْمُسَلَّمِ مَرَّةً لِلْقِدِّيسِينَ**" (**يه ٣:١**)، وعملاً بقول الكتاب: "**لاَحِظْ نَفْسَكَ وَالتَّعْلِيمَ وَدَاوِمْ عَلَى ذَلِكَ**" (**١تى ١٦:٤**).

ثالثًا: شهداء من أجل العفة

ميزت المسيحيين فى أجيال المسيحية الأولى، ظاهرتان واضحتان كل الوضوح، هما عدم الخوف من الاستشهاد، ومحبة العفة والبتولية.. ونحن نرى فى سيطرة هاتين الظاهرتين على المؤمنين أمرًا طبيعيًا، يتمشى مع الروحانية العميقة التى عاشوها، والسمو العجيب الذى حققوه من ناحية شهوات الجسد، فحيث الاستشهاد لابد وأن توجد الطهارة.

فالموت عندهم أخف من الدنس، وتاريخ الشهداء حافل بأمثلة رائعة لأبطال الطهارة والعفة، الذين فضلوا أن يقبلوا الموت.. عن أن يدنسوا أجسادهم. فالوثنيون وحكامهم تملكت عليهم شهوات دنسة بصورة مخجلة. وكانوا يندهشون لطهارة المسيحيين والمسيحيات، على وجه الخصوص، فى احتمال كل أنواع التعذيب والتنكيل والقصاص المميت عن التفريط فى طهارتهم.

- **ويقول يوسابيوس المؤرخ**.. الذى عاش وسط الاضطهادات: "لم تكن النساء أقل من الرجال بسالة فى الدفاع عن تعليم الكلمة الإلهية، إذ اشتركن فى النضال مع الرجال. ونلن معهم نصيبًا متساويًا من الأكاليل من أجل الفضيلة، وعندما كانوا يجروهن لأغراض دنسة، كن يفضلن تسليم حياتهن للموت عن تسليم أجسادهن للنجاسة".

كان واضحًا إذن أمام الحكام الوثنيين، أن الوقوع فى الدنس أشر من الموت بالنسبة للمسيحيين.. من أجل هذا فرضوه عقابًا، خاصة بالنسبة للعذارى والسيدات وبعض الشباب.

١- الشهيدة بوتامينا العذراء العفيفة :

فى الإضطهاد الذى أثاره سبتميوس ساويرس على المسيحيين، احتملت العذراء المصرية بوتامينا أشد أنواع العذاب. ويقول يوسابيوس المؤرخ عنها: "لا تزال مشهورة بين شعب البلاد لسبب الآلام العديدة التى تحملتها فى سبيل الاحتفاظ بعفتها وعذراويتها. لأنها كانت فى دور النضوج العقلى والجسمى. وإذ تحملت كثيرًا من أجل الإيمان بالمسيح، وعانت صنوفًا مختلفة من التعذيب الذى لا يوصف، أحرقت بالنار أخيرًا مع أمها مارسيلا. بعد أن عذب كل جسمها تعذيبًا قاسيًا، هددها بتسليمها إلى المصارعين للإساءة إلى جسدها. وكانت الطريقة التى تم إعدامها بها، أن يصب القار المغلى على أعضائها،

ولكنها توسلت للوالى ألا يجعل جنوده يجردونها من ثيابها، وأن يتركوها تنزل إلى القار قليلاً قليلاً، حتى يرى أية قوة احتمال أعطاها السيد المسيح".. إلى هذه الدرجة من التحفظ والحياء ومحبة الطهارة، كانت هذه العذراء التى أبت أن تخلع ملابسها وينكشف جسدها..

٢- **استشهاد باسيليدس الجندى :**

وهو الجندى الذى حامى عن الشهيدة العفيفة بوتامينا أثناء استشهادها، فكانت مكافأته أنها وعدته أنها ستذكره أمام السيد المسيح حالما تصل إليه. وقد ظهرت له فى رؤيا بعد استشهادها، ووقفت بجانبه ليلاً ثلاثة أيام متوالية تقلده إكليلاً على رأسه، وتقول له أنها توسلت إلى الرب من أجله، وأنه بعد قليل سيلحق بها. وهذا ما قد تم فعلاً بعد أيام من استشهاد بوتامينا، إذ اعترف باسيليدس بالسيد المسيح وقُطعت رأسه بالسيف.

٣- **القديسة العفيفة بربتوا الشهيدة :**

وفى قصة استشهاد القديسة بربتوا بقرطاجنة، حدث أنها أُلقيت لثور هائج، أخذ يضربها بقرونه، فسقطت على الأرض نصف ميتة.. لكنها لم تنس وهى فى هذه الحالة أن تغطى جسدها بردائها الذى تمزق. وقد أورد المؤرخ "شاف" هذه اللمحة فى قصة بربتوا دليلاً على محبة المسيحيين الأوائل للطهارة والعفة وتعلقهم الشديد بها.

٤- **ثيئودورة العذراء العفيفة :**

استشهدت بالإسكندرية وهى فى سن السابعة عشر، لأنها آثرت حياة العفة والتبتل.. كانت ثيؤدورة من أسرة نبيلة، وعلى جانب كبير من الجمال الجسدى. فأمرها الوالى أن تبخر للأوثان، وإلا فإن عقوبتها ستكون إيداعها أحد بيوت الدعارة.. وفى تمسكها بعفتها، رفضت كلامه، وقالت له: أنها واثقة أن الرب يسوع سيخلصها..

وقد أتاها الخلاص من هذه التجربة على يد الشاب المسيحى ديديموس، الذى تنكر فى زى جندى، وكان أول من دخل إليها، وكانت لا تعرفه. أما الخطة فكانت استبدال ملابسها. وخرجت ثيئودورة متخفية فى زى الجندية، دون أن يفطن إليها أحد. وبقى ديديموس فى الحجرة حتى أكتشف أمره، وسيق للوالى، وحكم عليه بالموت للمؤامرة التى ارتكبها. وحدث وهو فى طريقه إلى مكان الإعدام، أن رأته ثيئودورة، وعرفت قصته، فشقت

صفوف الجموع وأمسكت به، وقالت له: (لقد سمحت لك فقط أن تحفظ عفتى.. ولكنى لم أسمح لك أن تأخذ إكليلى).. وعُرف الأمر، ونال كلاهما إكليل الشهادة معًا.

٥- **الشهيدة العفيفة فبرونيا العذراء :**

وفى أثناء الإضرابات التى عمت مصر سنة ٧٤٩م، بسبب قرار مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين.. دخل جنود مروان دير العذارى قرب أخميم. وبعد أن نهبوه أرادوا إغتصاب عذراء صغيرة، تدعى فبرونيا، قد فتنوا بجمالها. وإذ وجدت فبرونيا نفسها بين أيدى هؤلاء الجند، استمهلتهم قليلاً، ودخلت قلايتها، وألقت بذاتها بين يدى الله باكية، طالبة أن يحفظ طهارتها.. وسرعان ما خرجت إليهم بحيلة.. توسلت إليهم أن يتركوها لعبادتها، مقابل جميلاً تسديه إليهم، تعلمته من أسلافها. وكان هذا الجميل، زيتًا تقتنيه، إذا دهن به أى جزء من الجسم، لا تعمل فيه السيوف. ولكى تبرهن على صدق كلامها، دهنت عنقها بالزيت، وطلبت أن يهوى أقواهم بسيفه على عنقها.. وما أن فعل ذلك حتى انفصلت رأس العذراء العفيفة عن جسدها.. وحفظ المسيح طهارتها، أما الجند فاعتراهم خوف شديد، وأسرعوا بمغادرة الدير، بعد أن تركوا كل ما كانوا قد نهبوه.

هذه بعض نماذج قليلة من شهداء كنيستنا أم الشهداء.. التى قدمت أكبر عدد من الشهداء على مستوى العالم كله. **بركة هؤلاء الشهداء والشهيدات تكون معنا، آمين.**

٧ اعرف عدوك.. واستعد للانتصار

ينبغى أن نعرف صفات عدونا، وأسلوبه فى القتال، لنعرف كيف نحاربه وننتصر عليه، بنعمة الله. فما هى صفات الشيطان؟ وكيف يحارب؟ وهل له أسلوب ثابت، أم أنه يتغير فى أساليبه حسب تغير الحالة؟ هذا ما نريد أن نفحصه، حتى نستطيع أن نواجهه. وكما قال معلمنا بولس الرسول: "**لِئَلاَّ يَطْمَعَ فِينَا الشيطان، لأَنَّنَا لاَ نَجْهَلُ أَفْكَارَهُ**" (٢كو ٢:١١). **ونستطيع أن نعرف من الكتاب المقدس بعض صفات الشيطان:**

أولاً: صفات الشيطان فى حروبه

١- صاحب قتال لا يهدأ :

صار عمله منذ سقوطه هو المقاتلة والمحاربة. فهو دائمًا مقاتل Fighter حتى قبل إسقاطه لأبوينا الأولين آدم وحواء، استطاع أن يسقط مجموعات من ملائكة السماء، تبعوه وصاروا من جنوده من طغمات كثيرة. **ومن ذلك الحين أصبحت هوايته إسقاط الآخرين.**

صار يقاتل الكل. وكما أسقط طغمات ملائكية من الكاروبيم والسلاطين والرؤساء والقوات.. كذلك رأيناه يقاتل أنبياء الله ورسله ومُسحاءه، ويقاتل المتوحدين والسواح والرهبان وكل محبى الله، وكل من يسمع أنه فى خير، أو فى بر.

وقد سمى المعاند والمقاوم، لأنه دائمًا يقاوم ملكوت الله ويعاند مشيئته. كما سمى أيضًا التنين، والحية القديمة وإبليس، والشيطان (رؤ ١٢:٩)، وقبل الصليب كان يسمى رئيس هذا العالم (يو ١٤:٣٠).

وهو فى قتاله لا يهدأ مطلقًا ولا يملّ ولا يستريح. دائمًا يجول "**كَأَسَدٍ زَائِرٍ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ**" (١بط ٥:٨)، وقد قال للرب مرتين فى قصة أيوب إنه مشغول "**مِنَ الْجَوَلاَنِ فِى الأَرْضِ، وَمِنَ التَّمَشِّى فِيهَا**" (أى ١:٧، ٢:٢)، إنه ساهر باستمرار يرقب حالة ضحاياه، ويلقى بذاره فى كل مكان. وحيثما يزرع الرب حنطة، يأتى هو "**فِيمَا النَّاسُ نِيَامٌ.. وَزَرَعَ زَوَانًا فِى وَسَطِ الْحِنْطَةِ**" (مت ١٣:٢٥). وليس البشر فقط، بل حتى الملائكة يحاربهم. فقد وقف ضد الملاك ميخائيل يحاججه من جهة جسد موسى النبى (يه ٩).

٢- قـــــــوى :

لأنه كان أحد الملائكة "**الْمُقْتَدِرِينَ قُوَّةً**" حسبما وصفهم المرتل (مـز ١٠٣:٢٠). هو كملاك فقد طهارته، لكن لم يفقد طبيعته القوية. لذلك وصفه الرسول بأنه "**كَأَسَدٍ زَائِرٍ**" (١ بـط ٥:٨). وهكذا نراه فى سفر أيوب استطاع أن "**ضَرَبَ أَيُّوبَ بِقُرْحٍ رَدِيءٍ مِنْ بَـاطِنِ قَدَمِـهِ إِلَـى هَامَتِهِ**" (أى ٢:٧)، كما استطاع أن يثير ريحًا شديدة صدمت زوايا بيت أيوب، فسقط علـى الغلمان فماتوا (أى ١:١٩).

ولكن ليس معنى الحديث عن قوة الشيطان، أن تخافوا منه!! كـلا فإن كان الشيطان قويًا، فالله أقوى منه.. وليس فقـط أن الله أخـضعه لنا، بل إن كثيرًا من الآباء قد غلبوه، وكان يخاف منهم.

٣- خبير بالحروب وبنا :

تصوروا الشيطان يحارب الإنسان منذ أكثر من سبعة آلاف سنة، منذ آدم.. أية خبرة تكون له فى حربه مع البشرية. لاشك أنه أقـدر مخلوق على فهم النفس البشرية وطريقة محاربتها. لقد درس النفس البشرية جيدًا، ويعرف نواحى القوة والضعف فيها. ويعرف الأسلوب الذى يمكنه أن يحاربها به فهو يعرف متـى يحارب، وكيف يحارب؟ ومتى ينتظر؟ ومن أى الأبواب يدخل إلى فكر أو إلى قلب الإنسان.

٤- ذكى وصاحب حيلة :

لقب الشيطان بأنه "**الْحَيَّةِ الْقَدِيمَةِ**" (رؤ ١٢:٩، ٢٠:٢) وقال الكتاب عن الحية إنهـا كانـت "**أَحْيَلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ**" (تك ٣:١) إنه ذكى وحكيم فى الشر.

ومن مظاهر ذكاء الشيطان أنه قد يغير خططه وأساليبه لتوافق الظروف. ومـن حيلـه الصعبة: الكذب والخداع والأضاليل، يسكبها بطريقة ذكية لا يشعر بهـا الإنـسان الـذى يحاربه فهو يقدم الخطية فى أسلوب فضيلة.. إلخ.

٥- كـــــذاب :

لقد بدأ كذبه على أبوينا آدم وحواء قال لهما: "**لَنْ تَمُوتَـا**" وكـذلك فـى قولـه لهمـا: "**تَكُونَانِ كَاللهِ**" (تـك ٣:٥،٤). وصفة كذاب بارزة فى الشيطان، لذلك قال عنه الـسيد الـرب

إنه: "**كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ**" (يو ٨:٤٤). قال هذا لكى لا نصدق كل ما يقوله الشيطان، ولا ننخدع به. وليس الكذب عند الشيطان هو فقط ما يقوله من كلمات، **وإنما هناك ما هو أخطر بكثير من كل هذا:**

أ- **هناك من يرسلهم من أنبياء كذبة ومسحاء كذبة** : ولقد حذرنا الرب من كل هؤلاء، فقال: "**إِنْ قَالَ لَكُمْ أَحَدٌ: هُوَذَا الْمَسِيحُ هُنَا! أَوْ هُنَاكَ! فَلاَ تُصَدِّقُوا لأَنَّهُ سَيَقُومُ مُسَحَاءُ كَذَبَةٌ وَأَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ وَيُعْطُونَ آيَاتٍ عَظِيمَةً وَعَجَائِبَ، حَتَّى يُضِلُّوا لَوْ أَمْكَنَ الْمُخْتَارِينَ أَيْضًا**" (مت ٢٤:٢٣-٢٤).

ب- **كذلك يعلن الشيطان كذبة فى الاحلام والرؤى الكاذبة** : وما أكثر الأحلام الكاذبة التى يضل بها الناس ظانين أنها من الله! "**لأَنَّ الشيطان نَفْسَهُ يُغَيِّرُ شَكْلَهُ إِلَى شِبْهِ مَلاَكِ نُورٍ**" (١كو ١١:١٤).

ج- **وكذب الشيطان يظهر ايضا فى اقوال السحرة والعرافين وامثالهم** : ولذلك أوصى الرب قائلاً: "**لا تَتَعَلَّمْ أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ رِجْسِ أُولئِكَ الأُمَمِ. لا يُوجَدْ فِيكَ مَنْ يُجِيزُ ابْنَهُ أَوِ ابْنَتَهُ فِي النَّارِ، وَلا مَنْ يَعْرُفُ عِرَافَةً، وَلا عَائِفٌ وَلا مُتَفَائِلٌ وَلا سَاحِرٌ، وَلا مَنْ يَرْقِي رُقْيَةً، وَلا مَنْ يَسْأَلُ جَانًّا أَوْ تَابِعَةً، وَلا مَنْ يَسْتَشِيرُ الْمَوْتَى. لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مَكْرُوهٌ عِنْدَ الرَّبِّ. وَبِسَبَبِ هذِهِ الأَرْجَاسِ، الرَّبُّ إِلهُكَ طَارِدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ**" (تث ١٨:٩-١٢).

د- **وإغراءات الشيطان كلها الوان من الكذب** : حيث يصور للإنسان سعادة تأتيه من وراء الخطية، سواء فى لذة أو سلطة أو مكسب أو جاه أو مجد.. وبعد أن يسقط الشخص يجد أن كل إغراءات الشيطان هى سراب زائل، وأنها أشياء زائفة، كما صوَّر لحواء وآدم أنهما سيصران مثل الله.. وكما صور لسليمان أنه سيسعد بكثرة ألوان المتعة والترف التى تحيط به، فوجد أن الكل باطل وقبض الريح (جا ٢).

هـ- **ايضا احلام اليقظة التى يقدمها لضحاياه ، كلها اكاذيب ومضيعة للوقت** : ولكنه يقدمها لهم كنوع من اللذة تخدرهم عن العمل الإيجابى النافع، فيعيشون بهذه الأحلام فى خيال غير واقعى، يبنون قصورًا من رمال، وأمجادًا وأفراحًا ومتعًا. ثم يستيقظون فلا يجدون شيئًا.

و- **ومن أكاذيب الشيطان إيهامه للمنتحر أن الموت سيريحه من متاعبه** : ويركز على: إنه لا فائدة من هذه الحياة، ولا حل لمشاكله. والحل الوحيد هو الموت وهنا يخسر الإنسان حياته، وربما أبديته إن لم يطلب المغفرة.

ز- **وتقريبًا غالبية الخطايا ، يضع الشيطان وراءها أكذوبة من أكاذيبه** : فهو يوحى للسارق بأن لا أحد سوف يرى أو يكتشف سرقته، وكذلك يوحى للمهرب وللمرتشى وللغشاش والشيطان فى كل هذا يكذب، لأنه حتى إن لم ير البشر، فالله يرى وكل شئ مكشوف أمامه.

ح- **بل لعل الإلحاد هو أكبر أكذوبة قدمها الشيطان للبشرية:** وقد كذب على الوجوديين حينما صور لهم أن وجود الله يعطل وجودهم، كما كذب على الماركسيين إذ صور لهم أن الله يعيش فى برج عالى ولا يهتم بالمجتمع الإنسانى، بل يترك فيه الظالم يظلم، والغنى يستبعد الفقير..!!

٦- والشيطان لحوح :

أى أنه كثير الإلحاح جدًا، لا يمل. وربما الفكر الواحد يظل يعرضه مرات ومرات. ومهما رفضه الناس، يستمر أيضًا فى عرضه. فيستسلم الإنسان له ويخضع من كثرة إلحاحه فالشيطان لا ييأس من الفشل أبدًا، ولا يخجل، بل يعود!

٧- المشتكى :

وقد قال عنه سفر الرؤيا إنه: "**الْمُشْتَكِي عَلَى إِخْوَتِنَا، الَّذِي كَانَ يَشْتَكِي عَلَيْهِمْ أَمَامَ إِلَهِنَا نَهَارًا وَلَيْلاً**" (رؤ ١٢:١٠). إنه يشتكى على القديسين، مدعيًا أنه لم يأخذ فرصته لمحاربتهم! أو أن فرصته التى أخذها قبلاً، لم تكن كافية!.

٨- كثير المواهب :

معرفته واسعة جدًا فى كل مجال. حتى آيات الكتاب المقدس، يعرفها جيدًا ويحارب بها، وكأنه من اللاهوتيين. وفى التجربة على الجبل، استخدام الكتاب المقدس بطريقته الخاصة (مت ٤:٦). وهو صاحب جميع البدع والهرطقات، وهو الذى وضع أفكارها فى أذهان الهراطقة، وقدم لهم مفاهيم خاطئة لآيات الكتاب. وصدق القديس أثناسيوس الرسولى حينما قال: إن عدونا ليس هو الأريوسيين، إنما هو الشيطان.

٩- قـــاس :

إنه يعمل بكل قسوة، بلا رحمة. وقسوته كانت واضحة جدًا فى قصة أيوب الصديق كما أنه جر كثيرين إلى الهلاك وأضاعهم، كالذين هلكوا بالطوفـان، وربنـا سـادوم، والـذين ابتلعتهم الأرض أحياء (عـد ١٦). وقسوته واضحة فى الذين يصرعهم، ويصبحون فى حالة وتظهر قسوته كذلك فى محارباته للقديسين، وفى المناظر المخفية. وهو قاس فيمـا يثيـره على العالم من حروب وويلات وجرائم.

١٠- خبيث فى تظاهره بالعطف :

عبارات العطف عنده وسيلة ماكرة لإسقاط الناس.. فهو (يعطف) عليك حينما تـصوم، ويدعوك إلى الأكل، من أجل صحتك! محذرًا إياك من المرض ومن الضعف! وحينما تنـشط روحيًا، وتسهر فى الصلاة والقراءة والمطانيات ويدعوك فى عطف إلى النوم من أجل راحتك.

إن (العطف) عند الشيطان ليس حبًا، إنما وسيلة للإسقاط. فاحترس منه، ولا تسمع لـه. وكن حازمًا مع نفسك. واسلك بتدقيق.

١١- وهو حسود :

قلبه لا يستريح مطلقًا أن يرى إنسانًا ناجحًا، أو إنسانًا بارًا، فيعمل كـل مـا يـستطيعه لإسقاط هذا وذاك. فهو يحسد المعرفة والحكمة، ويحسد العفة، ويحسد الاتضاع.. لذلك فهو ينشر فى العالم الجهل والزنا والكبرياء، بكل ما عنده من حق.

ثانيًا: كيفية الإنتصار على الشياطين

كل ما ذكرناه قبلاً من صفات الشيطان وتنوع حيله، إنما كتبناه لكم، لا لكى تخافوا منه، إنما لكى تحترسوا منه. وعلى الرغم من عنف الشيطان ومكره، إلا أن الانتـصار عليـه ممكن جدًا، **بل إنه سهل أيضًا بالجهاد الشخصى ومعونة النعمة الإلهية:**

١- إمكانية الانتصار :

إذا وضعت أمامك أن الانتصار فى حروب الشيطان أمر صعب أو مستحيل، سـتخور قواك وتضعف وتستسلم، وبالتالى ستسقط. أما أنت فإن حاربك الشيطان، تأكد تمامًا أنه فى إمكانك أن تنتصر **تأمل باستمرار فى سير القديسين الذين انتصروا:**

- ضع أمامك قصة **يوسف الصديق** الذى انتصر على الرغم من صعوبة التجربة التى تعرض لها.

- ولنتذكر أيضًا وعود الله لنا، لكى نتشجع.. إنه يقول: "**وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ**" (مت ٢٨:٢٠). "**إِنْ كَانَ اللهُ مَعَنَا، فَمَنْ عَلَيْنَا؟**" (رو ٨:٣١). إنه يقول لكل منا: "**لاَ أُهْمِلُكَ وَلاَ أَتْرُكُكَ.. تَشَدَّدْ وَتَشَجَّعْ! لاَ تَرْهَبْ وَلاَ تَرْتَعِبْ لأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مَعَكَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ**" (يش ١:٥،٩)، "**أَنَا مَعَكَ، وَلاَ يَقَعُ بِكَ أَحَدٌ لِيُؤْذِيَكَ، لأَنَّ لِى شَعْبًا كَثِيرًا فِى هَذِهِ الْمَدِينَةِ**" (أع ١٨:١٠).

كذلك فلنثق تمامًا أن الله هو الذى يحارب عنا. فهو "**يُقَاتِلُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ تَصْمُتُونَ**" (خر ١٤:١٤). إذن لا تخافوا مطلقًا من الشيطان.

٢- لا تخافوا :

لا نخاف مطلقًا من الشيطان. فهو على الرغم من كل مواهبه وقوته وحيله، كائن ضعيف أمام أولاد الله. قال عنه الرب: "**رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطًا مِثْلَ الْبَرْقِ مِنَ السَّمَاءِ**" (لو ١٠:١٨). لقد داسه الرب على الصليب لذلك قال: "**هَا أَنَا أُعْطِيكُمْ سُلْطَانًا لِتَدُوسُوا الْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبَ وَكُلَّ قُوَّةِ الْعَدُوِّ، وَلاَ يَضُرُّكُمْ شَيْءٌ**" (لو ١٠:١٩). إن وعد الرب لنا أن ندوس كل قوة العدو، هو وعد كله قوة وعزاء، ينزع الخوف من أى قلب.. ومن محبة الكنيسة لهذا الوعد الإلهى، وضعته لنا فى آخر صلاة الشكر، نذكره فى صلواتنا كل قوة العدو.

إذن ليس للشيطان سلطان علينا، بل لنا سلطان عليه فلا تخف منه ولا تضطرب، فالشيطان لا يسيطر إلا على الذى يخضع نفسه له.. ويصدقه.. أو يخاف منه.

ولكن السيد المسيح نصحنا ألا نخاف مطلقًا، بقوله: "**أَنَا هُوَ.. لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ وَلاَ تَرْهَبْ**" (مت ١٤:٢٧، يو ١٤:٢٧).

لا تخف إذن. لأن قوة الله العاملة فيك، هى أعظم بما لا يقاس من قوة الشيطان الذى يجربك من الخارج. وثق فى الرب وقل: "**اَلرَّبُّ نُورِى وَخَلاَصِى، مِمَّنْ أَخَافُ؟ الرَّبُّ حِصْنُ حَيَاتِى، مِمَّنْ أَرْتَعِبُ؟**" (مز ٢٧:١) فليتك تقرأ سير القديسين الذين لم يخافوا الشياطين.

إن الشيطان قد يثير ضجة ليخيفك، ولكنه لا يستطيع أن يعمل شيئًا للمؤمن الصامد. فهناك الله ضابط الكل، يمنع الشيطان. يمنع الشيطان أن يجربك فوق احتمالك.

٣- قاومـــــوه :

"**فَقَاوِمُوهُ، رَاسِخِينَ فِي الإِيمَانِ**" (**ابط ٥:٩**). ولا تستسلم، بل اصمد في الحرب كجندى صالح للمسيح. حارب بكل قوتك، واطلب معونة الرب. وهنا يعجبنى ما قيل في سفر النشيد: "**تَخْتُ سُلَيْمَانَ حَوْلَهُ سِتُّونَ جَبَّارًا مِنْ جَبَابِرَةِ إِسْرَائِيلَ. كُلُّهُمْ قَابِضُونَ سُيُوفًا وَمُتَعَلِّمُونَ الْحَرْبَ. كُلُّ رَجُلٍ سَيْفُهُ عَلَى فَخْذِهِ مِنْ هَوْلِ اللَّيْلِ**" (**نش ٣:٨**). وكن إذن متعلمًا الحرب من كل ما يثيره عليك الشيطان. وليكن سيفك على فخذك. بل كما يقول المرتل فى المزمور: "**تَقَلَّدْ سَيْفَكَ عَلَى فَخْذِكَ أَيُّهَا الْجَبَّارُ، جَلاَلَكَ وَبَهَاءَكَ. وَبِجَلاَلِكَ اقْتَحِمِ. ارْكَبْ**" (**مز ٤٥:٣-٤**).

إن حاربك الشيطان بفكر أو شعور، لا تستسلم بل قاوم. لا تقبل كل ما يعرضه عليك. لا تفتح له قلبك، ولا تفتح له عقلك، ولا تسلم له إرادتك، ولا تتساهل معه، بل قاومه بكل عنف. قاوم كل أفكاره وكل إغراءاته وكل شهواته وكل تجاربه. واحذر أن تتراخى، لئلا تسمع تأنيب الرسول: "**لَمْ تُقَاوِمُوا بَعْدُ حَتَّى الدَّمِ مُجَاهِدِينَ ضِدَّ الْخَطِيَّةِ**" (**عب ١٢:٤**). لذلك قاومه من أول خطوة، حينما تكون إرادتك فى يدك. وبرفضك الحازم لكل أفكاره، تصير لك هيبة عند الشيطان. والمقاومة هى رفض الخطية بكل صورها، ورفض التنازل عن الكمال.

٤- بالإيمـــــان :

دائمًا فى الحرب ضع أمامك الانتصار وليس الفشل. قل: أنا لا يمكن أن أفشل، مادمت ألجأ إلى الله، وهو يحارب عنى، أنا لا أخاف الشيطان، بل أقول للرب: "**أَيْضًا إِذَا سِرْتُ فِي وَادِي ظِلِّ الْمَوْتِ لاَ أَخَافُ شَرًّا، لأَنَّكَ أَنْتَ مَعِي**" (**مز ٢٣:٤**). إننى فى يمين الرب، فقد نقشنى على كفه (**إش ٤٩:١٦**). وقال عن خرافه: "**وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي.. وَلاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطَفَ مِنْ يَدِ أَبِي**" (**يو ١٠:٢٨-٢٩**).

٥- الإتضـــــــاع :

ونغلب الشيطان أيضًا بالإتضاع مثل القديس الأنبا أنطونيوس.. لأسباب كثيرة منها:

أ- لأن الشيطان غير متضع، والاتضاع يذكره بكبريائه التى أسقطته.

ب- لأن الاتضاع يذكره بصورة المسيح الذى أخلى ذاته وأخذ شكل العبد، لكى يخلص البشرية. ومجرد هذه الذكرى تتعبه، فيهرب.

ج- لأن المتضع إذ هو معترف بضعفه فيستعين بقوة الله لتعينه فى حروب الشيطان. وهذا أكثر ما يخافه الشيطان.

٦- بالمشورة والاعتراف :

الإرشاد الروحى يكشف حيل الشياطين، ويشرح كيفية النجاة منها "**أَطِيعُوا مُرْشِدِيكُمْ وَاخْضَعُوا، لأَنَّهُمْ يَسْهَرُونَ لأَجْلِ نُفُوسِكُمْ كَأَنَّهُمْ سَوْفَ يُعْطُونَ حِسَابًا، لِكَيْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ بِفَرَحٍ**" (**عب ١٣:١٧**). ولهذا فإن الذى يسلك فى الطريق الروحى بهواه، يمكن أن يسقط فى فخاخ الشياطين. **وقد قيل: الذين بلا مرشد يسقطون مثل أوراق الشجر.**

من أجل هذا كانت أهمية أب الاعتراف فى الكنيسة تكشف له ما فى قلبك، وتخجل وتنسحق نفسك أمام الله فى حضرته. ويرشدك إلى ما ينبغى أن تفعله. والاعتراف يكشف حروبًا ربما المبتدئون لا ينتهبون لها.

٨- بالسهر والحرص :

لا يكفى أن تعترف وتكشف نفسك وتطلب الإرشاد، إنما ينبغى أن تكون ساهرًا على خلاص نفسك. وهوذا الرسول يقول: "**اُصْحُوا وَاسْهَرُوا. لأَنَّ إِبْلِيسَ خَصْمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ**" (**١بط ٥:٨**).

اسهروا لأن عدوكم متيقظ وقوى، لئلا يأخذكم فى ساعة غفلة أو تهاون أو تراخى، أو فى ساعة فتور، أو فى حالة نسيان لواجباتكم الروحية، وعدم اهتمام بخلاصكم.

والكنيسة تنادينا فى مناسبات عديدة أن نتيقظ:

فهناك **أصوام** لنا اصحوا واستعدوا. وهناك **قداسات** لنا تعالوا تناولوا باستحقاق. **وعظات وقراءات، واجتماعات** كلها تنادينا أن نهتم بأبديتنا، ونحارب حروب الرب

بكل اهتمام. لذلك علينا أن نتيقظ لأن الكنيسة تدعونا أن نقول للرب فى بدء صلاة نصف الليل: "انزع من عقولنا نوم الغفلة، وأعطنا يا رب يقظة.."... فإياك والتهاون فهو باب السقوط.

أما المهتم بواجباته الروحية، فإن الله يكون دائمًا أمام عينيه، فيستحى من السقوط، كما أن الله يعينه فى حروبه، وسهره فالرسول يوصينا: "**الْبَسُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَىْ تَقْدِرُوا أَنْ تَثْبُتُوا ضِدَّ مَكَايِدِ إِبْلِيسَ**" (أف ٦:١١). وكل الوسائط الروحية. وهذا الاحتراس، أو هذا الاستعداد، يكون معك مدى الحياة.

احترس حتى الموت. وكن صاحيًا إلى آخر لحظة "**لِئَلاَّ يَأْتِىَ بَغْتَةً فَيَجِدَكُمْ نِيَامًا!**" (مر ١٣:٣٦). وفى سهرك أسلك بكل جدية وبكل تدقيق. وكن أمينًا جدًا حتى فى القليل. فإن أمانتك وتدقيقك وجديتك، تجعل الشيطان يهرب منك، شاعرًا أن حربه معك هى حرب خاسرة.

٩- بالصلاة والصوم :

وهو أهم سلاح، بقدر إمكاننا نجاهد. ولكن أنت يا رب الذى تقودنا فى موكب نصرتك. "أحطنا بملائكتك القديسين، لكى نكون بمعسكرهم محفوظين ومرشدين".. والمفروض أن نطلب معونة الله من أول الطريق. فإن الكنيسة تعلمنا أن نصلى من أجل النجاة قبل أن تأتى الحروب.. وهكذا تكون صلاة وقائية، قبل اللجوء إلى الصلاة العلاجية "**يمين الرب صنعت قوة. يمين الرب رفعتنى**" فهل جربت يمين الرب فى حياتك؟ هل جربت خلاص الرب، الذى قال عنه موسى النبى: "**لاَ تَخَافُوا. قِفُوا وَانْظُرُوا خَلاَصَ الرَّبِّ.. الرَّبُّ يُقَاتِلُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ تَصْمُتُونَ**" (خر ١٤:١٣-١٤). لو أنك اختبرت هذا، لاستطعت أن تقول مع داود النبى: "**لأَنَّهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ نَجَّانِى، وَبِأَعْدَائِى رَأَتْ عَيْنِى**" (مز ٥٤:٧).

١٠- تحصن بالوصية :

احفظ عددًا من الآيات فى مواجهة الخطايا التى تحاربك منها:

- **إن حاربك الشيطان بالغضب** قل له: أن "**غَضَبَ الإِنْسَانِ لاَ يَصْنَعُ بِرَّ اللَّهِ**" (يع ١:٢٠).

- وفى حرب النظرة الشريرة أو الزنا نقول: "مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ" (مت ٥:٢٨). أو "أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ" (١كو ٦:١٩).
- وأخطاء اللسان: "كَثْرَةُ الْكَلاَمِ لاَ تَخْلُو مِنْ مَعْصِيَةٍ" (أم ١٠:١٩)، وقل: "اجْعَلْ يَا رَبُّ حَارِسًا لِفَمِي. احْفَظْ بَابَ شَفَتَيَّ" (مز ١٤١:٣).
- وحرب محبة العالم: اعلم أن: "مَحَبَّةَ الْعَالَمِ عَدَاوَةٌ لِلَّهِ؟" (يع ٤:٤). "وَالْعَالَمُ يَمْضِي وَشَهْوَتُهُ" (١يو ٢:١٧)، فالكل باطل وقبض الريح. ولا منفعة تحت الشمس.
- وإن حاربك الشيطان بالكبرياء: تذكر قول الكتاب: "قَبْلَ الْكَسْرِ الْكِبْرِيَاءُ، وَقَبْلَ السُّقُوطِ تَشَامُخُ الرُّوحِ" (أم ١٦:١٨). وأيضًا "يُقَاوِمُ اللَّهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً" (يع ٤:٦، ١بط ٥:٥).

خلاصة القول:

إن "كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ" (يع ٤:١٢)، ولها تأثيرها. وثق أنك حينما تتذكرها لابد سيكون لها عمل رادع داخل نفسك. وهكذا قال الرب: "تَكُونُ كَلِمَتِي الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ فَمِي. لاَ تَرْجِعُ إِلَيَّ فَارِغَةً، بَلْ تَعْمَلُ مَا سُرِرْتُ بِهِ وَتَنْجَحُ فِي مَا أَرْسَلْتُهَا لَهُ" (إش ٥٥:١١). جرب إذن قوة كلمة الرب فى حروب الشياطين والرب معك كما كان مع يوسف "فَكَانَ رَجُلاً نَاجِحًا" (تك ٣٩:٢).

٨ شبابنا.. والتوازن المطلوب

لعل أهم فضيلة يجدر بشباب هذا الجيل – ونحن رأينا أن نشير إليها فى مهرجان ٢٠١٨ **"كُونُوا.. مُستَعِدِّينَ" (مت ٢٤: ٤٤)** – أن يتحلوا بها هى فضيلة: **"التوازن"**. ذلك لأن عالم القرن الجديد، سوف يحفل بثنائيات كثيرة، تستدعى منا أن نتخذ موقفًا متوازنًا وحكيمًا.

والتوازن طبعًا هو عكس التطرف، فالتطرف هو أن يركن الإنسان إلى أحد طرفى المعادلة أو الميزان، ويتجاهل وينفى الطرف الآخر، أو الكفة الأخرى من الميزان.

كما أن التوازن هو من أهم مؤشرات الصحة النفسية، كما يقول علماء النفس.. من هنا يكون لزامًا علينا أن نتعرف على بعض ثنائيات القرن الجديد، لكى نتخذ الموقف المتوازن منها، فلا نتطرف يمينًا أو يسارًا.. وقديمًا قالوا: **"الطريق الوسطى خلصت كثيرين"**.. كما قال سليمان الحكيم: **"لاَ تَكُنْ بَارًّا كَثِيرًا.. لِمَاذَا تَخْرِبُ نَفْسَكَ؟ لاَ تَكُنْ شِرِّيرًا كَثِيرًا، وَلاَ تَكُنْ جَاهِلاً" (جا ٧: ١٦-١٧)**. **والثنائيات التى تحتاج منا إلى توازن، ما يلى :**

١- بين التراث.. والمعاصرة

مع النبرة المتزايدة فى اتجاه المعاصرة، وعدم الانسحاب من تيار الحياة، والجديد فى التكنولوجيا، وثورة الاتصال الحديثة، ورياح الحرية، ودواعى التجديد والتغيير، ودعاوى الليبرالية والتقدمية.. وكلها أمور هامة ومفيدة، لكن يحتاج شباب هذا الجيل إلى التمسك بجذور التراث والأصالة، فبدون جذور لا ينمو الساق، ولا تظهر الأوراق، ولا تشرق الأزهار، ولا نجنى الثمار.

التراث هو بمثابة الجذور، التى نستمد منها **عصارة الحياة**، فالحياة لا تبدأ من فراغ، والحاضر كان جنينًا فى رحم الماضى، كما أن المستقبل هو جنين فى رحم الحاضر.

نعم، ينبغى أن تكون لنا رؤية مستقبلية، حتى أن هناك الآن علم **"المستقبل"** (Futurology).. ولكن التطلع إلى المستقبل ينبغى أن يبنى على مراجعة الماضى، واستيعاب دروس ومعطيات التراث، السخى والهام. ومن خلال استيعابنا للكتاب المقدس،

وكتابات الآباء، وأعمال المجامع المحلية والمسكونية، ودراسة التاريخ المسيحى، الكنسى والعالمى، ومن خلال دراسة التاريخ العام، والتعرف على الجذور، والهوية القومية، والكفاح الإنسانى العام (**ضد العبودية مثلاً**)، والكفاح الوطنى الخاص (**ضد الاستعمار مثلاً**).. تراث ضخم: روحى وثقافى ونفسى واجتماعى ووطنى.. يجب أن نستوعبه قبل أن نحدد لأنفسنا رؤى المستقبل ومعالم الطريق.

من هنا كان لابد لنا من معهد الدراسات القبطية، والكلية الاكليريكية، والشهادات العلمية، والبحوث المتخصصة، لكى نستزيد من تراث الماضى، تحسبًا لخطوات المستقبل. ولكن دون إغراق أو تحجر عند عصر معين، أو الاكتفاء بالافتخار بالتاريخ، وكذلك دون إلغاء لمفردات ومنجزات العصر الحديث، روحيًا وفكريًا وتكنولوجيًا ومعلوماتيًا.. فمن خلال هذا المزيج، تتضح الرؤيا، ونضمن سلامة الخطوات.

٢- بين المادة.. والروح

فى العالم الآن ثقافتان، المادية والروحية، وهناك خطر التطرف فى الاتجاهين، فإذا ما سيطرت الثقافة المادية، تحول الإنسان إلى سلعة، والحياة إلى صفقات، وأنحبس البشر فى "**حركة التاريخ الزمنى**"، وصراعات اللقمة والبترول والموارد المادية، والأرض، ونسوا أن فى داخلنا عنصر "**الروح**" الذى يتطلع إلى الإلهيات، والأبديات، وما وراء المادة والطبيعة والزمن والموت!!

وبالعكس، إذا انحصر الإنسان فى الروحيات وأهمل المادة، تطرف فى اتجاه آخر مضاد، فأهمل جسده، مع أن الكتاب يقول: "**فَإِنَّهُ لَمْ يُبْغِضْ أَحَدٌ جَسَدَهُ قَطُّ، بَلْ يَقُوتُهُ وَيُرَبِّيهِ**" (أف ٥:٢٩)، أو يمكن أن يهمل صرخات الفقراء والمساكين، مع أن الرب يقول: "**طُوبَى لِلذِى يَنْظُرُ إِلَى الْمِسْكِينِ. فِى يَوْمِ الشَّرِّ يُنَجِّيهِ الرَّبُّ**" (مز ٤١:١)، ويقول على لسان يعقوب الرسول: "**هُوَذَا أُجْرَةُ الْفَعَلَةِ الَّذِينَ حَصَدُوا حُقُولَكُمُ، الْمَبْخُوسَةُ مِنْكُمْ تَصْرُخُ، وَصِيَاحُ الْحَصَّادِينَ قَدْ دَخَلَ إِلَى أُذُنَىْ رَبِّ الْجُنُودِ**" (يع ٥:٤).

وهكذا نحتاج إلى التوازن بين الثقافتين: المادية والروحية، فنهتم بإشباع الروح بكلمة الله، والصلاة، والأسرار المقدسة، والقراءات، والاجتماعات الروحية، والأصوام،

والمناسبات والأعياد الكنسية، وخدمة الفقراء والمحتاجين والمظلومين والفئات الخاصة: كالمعوقين بدنيًا أو ذهنيًا، والمكفوفين، والصم والبكم.. إلخ. وكذلك نهتم بإشباع الجسد: بالدراسة والعلم، والعمل، وإنماء الدخل، وتكوين أسرة مقدسة مسيحية، وحياة معيشية معقولة.. كذلك بالاهتمام والالتزام بالعمل المجتمعى الوطنى والعام، فنحيا كجزء من هذا الوطن، علينا دور، ولنا رسالة، وأمامنا جهد مطلوب من أجل بناء الإنسان المصرى، بل والإنسان عمومًا فى كل بقاع الأرض.

هذا الاهتمام المتوازن مطلوب، بين المادة والروح، فالرب الذى مكث مع الشعب ثلاثة أيام يعلمهم بكلمة الله، حينما جاع الشعب، قال للتلاميذ: "**أَعْطُوهُمْ أَنْتُمْ لِيَأْكُلُوا**" **(مت ١٤:١٦)**، وهكذا اهتم بالروح والجسد معًا. ونحن نؤمن أنه كما شارك الجسد الروح فى الخطية وفى آلام هذا الزمان، سنقوم بجسد روحانى، حتى يشترك مع الروح فى أمجاد الملكوت العتيد.

٣- بين الإنسان.. والآلة

مع صيحة التحديث والماكينة، هناك خطر داهم على حياة الإنسان، فسوف تقوم الماكينة بعمل مجموعة ضخمة من الأعمال، مما يهدد بتزايد معدلات البطالة، حتى فى العالم المتقدم صناعيًا وتكنولوجيًا. وهذه ملاحظة ماثلة للعيان، فالدول الصناعية المتقدمة حدّثت صناعاتها، وهكذا استغنت عن عدد كبير من العمال، كما أنها هاجرت بماكيناتها إلى دول العالم الثالث حيث العمالة الرخيصة، فازدادت مشكلة البطالة سوءًا. وأصبحنا نسمع عن "**إعادة التدريب**" حتى يتعلم من كان يعمل فى صناعة ما، وسائل جديدة لصناعات أخرى مطلوبة.. وكذلك بدأنا نسمع عن "**المشاريع ذات العمالة الكثيفة**"، وعن "**البعد الإنسانى فى التصنيع**".. وهى كلها محاولات جيدة، ولكنها لا تلغى وجود مشكلة خطيرة، وهى أن الآلة حلت محل الإنسان، فى مواقع كثيرة، وبأعداد كبيرة.

إذن هذا توازن آخر مطلوب.. كيف نستمر فى التقدم التكنولوجى، ونجد فرصًا جديدة لعمالة الأجيال الصاعدة؟! لعل هناك من يبحث الآن عن مخرج لهذه المشكلة، التى بدأت تنعكس خطورتها على الفرد والأسرة والمجتمع.

٤- بين الزمن.. والأبدية

من أخطر مشاكل العصر الانحباس والانحصار فى الزمن، أى فى الحياة الأرضية، بعد أن تعقدت مشاكلها، وتشعبت مسالكها، وصارت عبئا ثقيلاً على الإنسان، أنساه البعد الأبدى والأخروى فى حياته. فإن كانت حياتنا الأرضية محدودة، فحياتنا الأبدية غير محدودة، وإن كانت حياتنا تشبه كتابًا فالزمن هو المقدمة، والأبدية هى المتن!!

وما أخطر أن يركز الإنسان فى حياته الأرضية فقط، ويتجاهل أبديته اللامتناهية!! **"مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟" (مت ١٦: ٢٦)**، وما الفائدة من أن يكتنز الإنسان الكثير من مقتنيات هذا الزمان، وينسى اللؤلؤة كثيرة الثمن؟!

وهذا التوازن مطلوب من شباب هذا الجيل، أن يهتموا بتكوين أنفسهم زمنيًا، لكن دون أن يهملوا فى تكوين أنفسهم أخرويًا!! فقلب الإنسان المثلث، لو وضعنا فيه حتى الكرة الأرضية، فستبقى زوايا المثلث فارغة، ولن يشبع قلب الإنسان المثلث، إلا الله مثلث الأقانيم. الإنسان بئر من الرغبات - كما يقول باسكال - وهذه الرغبات المستمرة، لا يشبعها إلا غير المحدود، الله اللامتناهى!! فالإنسان فيه **"عطش مطلق"**، **"وجوع مطلق"**، ولا يشبعه ولا يرويه إلا الله غير المحدود!! وتعالوا نتذكر السامرية، وبئر يعقوب، وماء الحياة، الذى من يشرب منه **"لَنْ يَعْطَشَ إِلَى الأَبَدِ، بَلِ الْمَاءُ الَّذِي أُعْطِيهِ يَصِيرُ فِيهِ يَنْبُوعَ مَاءٍ يَنْبَعُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ" (يو ٤: ١٤)**.

٥- بين القداسة.. والعدالة الاجتماعية

يتحدث العالم الآن عن العدالة الاجتماعية، حتى قيل أن القرن الجديد سيكون **"قرن حقوق الإنسان"**، وهذا شئ طيب.. ومنظمات حقوق الإنسان انتشرت فى كل مكان، تراقب وتحاسب وتطالب، وتكشف نواحى الظلم والقمع والتمييز: الدينى أو الثقافى أو العرقى.. وترفض أن يكون هناك سجناء رأى، وتفتش عن من يعيشون تحت خط الفقر، أو فى مجاعات أو أوبئة، أو فى هجرة جماعية نتيجة الحروب أو المظالم.. أو عن أطفال الشوارع، وعمالة الأطفال، أو العنف ضد المرأة، إلى غير ذلك من أمور هامة فعلاً.

لكن الخطر يكمن عند الاكتفاء بالعدالة الاجتماعية، وعدم الالتفات إلى أهمية القداسة، التى بدونها "**لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ**" (عب ١٢:١٤). القداسة أصبحت عملة صعبة، والحديث عنها أصبح حديث الأمانى والأساطير، بينما الحقيقة أن القداسة هى الضمان الحقيقى لسعادة الإنسان: زمنيًا وأبديًا، بدنيًا وروحيًا، شخصيًا وأسريًا واجتماعيًا!!

خطر كبير هذا الانحلال الخلقى، والفساد الوظيفى، وقبول الرشاوى، والانفلات الجنسى، والبلطجة، والتحايل على القانون.. هذا كله خطر على الفرد، والأسرة، والمجتمع.. بينما تربية ضمير حى يقظ، وإنسان روحانى مقدس، يراعى الله فى كل تصرفاته وعلاقاته وطموحاته، ويهتم بخلاص نفسه، أمر هام للغاية، سواء فى المصير الزمنى أو الأبدى.

القداسة :

- **مكسب للروح**.. حين تشبع بالله. - ومكسب **للذهن**.. حين يستنير بنوره.
- **ومكسب للنفس**.. حينما تنضبط غرائزها بالجهاد والنعمة.
- **ومكسب البدن**.. حينما يبتعد عن التدخين والخمور والمخدرات والنجاسة بأمراضها الخطيرة.
- **ومكسب للعلاقات**.. حينما تنجح بالمحبة!!

بينما النجاسة تدمير شامل للإنسان، بكل مكوناته!!

لذلك فهناك توازن مطلوب، بين خدمة الجسد والزمن والمادة، من خلال حقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية، وبين خدمة الروح والخلود والأبدية، من خلال التدين السليم!!

٦- بين التفرد والمرجعية

معروف أن هناك حاجات نفسية داخل الطبيعة البشرية، لابد من إشباعها، كالحاجة إلى: **الحب، والأمن، والانتماء، والتقدير، والنجاح، وتحقيق الذات**.. ومن بين هذه الحاجات: **الحاجة إلى التفرد، والحاجة إلى المرجعية**. وهاتان الحاجتان تتكاملان، ومن الخطر الركون عند إحداهما وإهمال الأخرى. فالحاجة إلى التفرد تعنى حاجة كل إنسان إلى أن تكون له خصوصية فى إسهاماته، ودوره المتميز فى الجماعة التى

ينتمى إليها، فهو يرفض بطبيعته أن يكون مجرد ترس فى آلة، أو قطعة غيار فى ماكينة!! الإنسان كائن حىّ، مريد، عاقل، له مواهبه وتفرده وجوهره الخاص، وينبغى أن يعطيه المجتمع: الأسرى أو الكنسى أو العام، فرصة إظهار مواهبه وطاقاته الكامنة وخصوصيته المتميزة.

ولعل هذا هو الفرق الجوهرى بين الشيوعية والاشتراكية من جهة، والرأسمالية من جهة أخرى، فبينما النظام الشمولى يقمع الإنسان لصالح الجماعة، فيصير مجرد ترس فى آلة الإنتاج الضخمة، كانت الرأسمالية تنمى الحافز الفردى الأدبى والفكرى والدينى والاقتصادى والإبداعى والإنتاجى، مما أبرز الكثير من المواهب، فَجَّر العديد من الطاقات.

غير أن التوازن المطلوب الآن هو بين أن نعطى الفرد فرصة الإبداع، ولكن لابد من مرجعية له، حتى لا يحدث شطط.. فالفرد جزء من مجموع، وفى المسيحية الإنسان المؤمن عضو فى جسد المسيح (الكنيسة)، ولا يستطيع أن يكون فردًا مستقلاً بذاته، بل هو عضو يتكامل من خلاله الجسد، ولا حياة له خارج الجسد. وهذا ما نسميه "**المرجعية**"، بمعنى أنه يدرس الكتاب المقدس ويتأمل فيه، ولكن لا يصح أن يفسره من عندياته وحده، دون الرجوع إلى مراجع لا حصر لها، حتى لا يبدأ من فراغ أو يسقط فى هرطقة أو بدعة.

حتى فى الخدمة أو أى عمل دينى، لابد من الرجوع إلى أب الاعتراف، وأمين الخدمة، ورأى الجماعة التى ينتمى إليها، ومباركة القيادة الكنسية، حتى لا يكتفى بفكره الشخصى، فالمسيحية لم تبدأ به، أو تنتهى إليه، وعليه أن يراجع نفسه من خلال الجماعة.

هكذا أوصى الله معلمنا بولس عملاق الكرازة، بأن يعرض عمله وكرازته على الرسل: بطرس ويعقوب ويوحنا، ونال منهم يمين الشركة (**غل ٢:١-١٠**).

نعم، هو توازن مطلوب، لا يصح أن يختل، بين الفرد والجماعة، العضو والجسد، التفرد والمرجعية!!

٧- بين الحرية.. والالتزام

الحرية هى سمة هذه الأيام، ورياح التحرير تهب على كل مكان. والله يحب أن نكون أحرارًا، وقد خلقنا كذلك، ولكنه يحب أن نحيا الحرية الحقيقية، وليس الحرية الوهمية، التى هى فى حقيقتها حضيض العبودية، لأن "**كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيَّةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيَّةِ**" (يو ٨:٣٤).

خلق الله الإنسان حرًا، وترك له فرصة الاختيار بين أن يتبع الله أو يتبع الشيطان، واختار الإنسان الخطية والعصيان، فحلت عليه عقوبة "**مَوْتًا تَمُوتُ**" (تك ٢:١٧)، "**لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ**" (رو ٦:٢٣)، لكن الرب هو الذى احتمل العقوبة، ودفع الدين عنا، ومات فداءً عنا. إن حرية الإنسان كلفت الله الكثير، والكثير جدًا.. فقد تجسد، ورفض من شعبه، وتألم كثيرًا، ثم صلب عنا، وقام لتبريرنا، وصعد كباكورة لنا، لنصعد معه وإليه فى النهاية، ونقضى - بمحض اختيارنا - الأبدية السعيدة معه.

غير أنه لا توجد حرية مطلقة، فهذا وهم مدمر، وكما يقولون: "**حريتك تنتهى عند طرف أنفك**"، أى أنها تنتهى عندما تبدأ حرية غيرك، وعليك أن لا تتدخل فى حريته. أنت حرّ أن تقتنى سيارة، وأن تتحرك بها، لكن لابد أن تلتزم بقواعد وقوانين المرور، وإلا تعرضت للخطر، وعرضت الآخرين معك. وأنت حرّ أن تزور صديقك، ولكنك لست حرًا أن تتلصص على محتويات أدراج مكتبه، بدعوى أن هذه غريزة الاستطلاع. كذلك أنت حرّ أن تأكل، ولكن دون أن تؤذى نفسك بكمية أو أنواع الأطعمة التى تأكلها.

لذلك يجب الموازنة بين الحرية والالتزام!! وها نحن نرى أمامنا نتيجة انفلات الحرية الجنسية فى الغرب، وكيف أدمنوا الخطيئة والدنس، فلم يستطيعوا أن يتحرروا من ذلك بعد الزواج، فكانت الزيجات المتعثرة، والأسر المفككة، والأولاد المشردين المتعبين نفسيًا!!

إن الحرية المنفلتة نحو الجنس، قادتهم إلى الإدمان، ثم إلى المخدرات، ثم إلى الجريمة. لكن "**إِنْ حَرَّرَكُمُ الابْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارًا**" (يو ٨:٣٦). **لهذا لابد من حرية ملتزمة لها ضوابطها مثل :**

١- الله.. النور الأعظم، والخير اللانهائى.

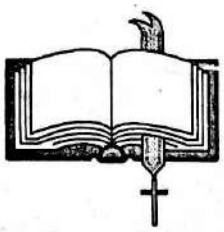

٢- **الإنجيل**.. حيث الوصايا ودستور الحياة اليومية.

٣- **الضمير**.. صوت الله داخل الإنسان.

٤- **أب الاعتراف**.. حيث الحِلْ من الخطايا والحَلْ للمشاكل.

٥- **قوانين الدولة**.. حيث أوصانا الكتاب المقدس بطاعتها، مهما تغيَّرت من آن لآخر.

٨- بين العلم.. والإيمان

لا تعارض بين العلم الكامل والإيمان الحقيقى.. وحينما سألوا إسحق نيوتن، بعد اكتشافاته المذهلة لقوانين الطبيعة، قال لهم: "**كنت كطفل صغير، يلهو على شاطئ محيط ضخم**".. أما أينشتاين، صاحب النظرية النسبية، فقال: "**كلما ازددت علمًا، ازددت إحساسًا بالجهالة**".. ذلك لأنه إن درس شيئًا وأدرك تفصيلاته، فوجئ بجديد يحتاج إلى بحث!!

إن جسم الإنسان يحتوى على ٦٠ مليار خلية، وكل خلية عليها الشفرة الوراثية الخاصة بالشخص، وتحتوى على ١٠٠,٠٠٠ عنصر وراثى.. وها نحن نتعرف على الفيمتو/ثانية وهو جزء من مليون بليون من الثانية، حسب تحديد واكتشاف د. أحمد زويل، فى بحثه حول آشعة الليزر.. وهناك كوكب جديد يتم اكتشافه حاليًا ضمن المجموعة الشمسية، حجمه جبار، لم يصلنا ضوؤه سوى هذه الأيام.

نعم العلم الحقيقى يمجد الله، سواء فى سماء الفلك، أو محيط الطيور والحيوانات والكائنات البحرية، أو عالم النبات.. فكم بالحرى عالم الإنسان، تاج الخليقة وكاهنها؟!

لهذا فهناك توازن مطلوب بين العلم والإيمان، فالعلم يبحث فى دائرة الحسّيات، والإيمان يبحث فى دائرة الماورائيات.. ماذا وراء المادة؟ والطبيعة؟ والحياة؟ والكون؟ والموت؟

ومشكلة بعض الباحثين سرعة القفز إلى نتائج غير سليمة، مثلما حدث فى نظرية دارون "**النشوء والارتقاء.. والانتخاب الطبيعى**"، وكيف وجد دارون نفسه أمام سؤالين **غاية فى الصعوبة هما:**

١- كيف جاءت الخلية الحية الأولى؟

٢- ماذا عن الفجوة الجبارة بين الغوريلا والإنسان؟

لم يستطع دارون الإجابة، ولكننا "**بِالإِيمَانِ نَفْهَمُ أَنَّ الْعَالَمِينَ أُتْقِنَتْ بِكَلِمَةِ اللهِ، حَتَّى لَمْ يَتَكَوَّنْ مَا يُرَى مِمَّا هُوَ ظَاهِرٌ**" (عب١١:٣).

نعم بالإيمان نفهم :

١- أن الله هو أصل الوجود، وواهب الحياة للخلية الأولى، ولكل الكائنات الحية.

٢- أن الله صنع الإنسان على صورته ومثاله، ونفخ فيه روحًا عاقلة، ليست موجودة فى الحيوانات. وإن تشابهت الأعضاء الجسمية بين الإنسان والحيوان، فهذا دليل آخر على وحدة الصانع، الذى خلقهما معًا، وترك بصمة فى كل منهما. لماذا لا نتشابه فى بعض الأجهزة الدورية والعصبية والجنسية.. إلخ، مادامت الوظائف متشابهة، والخالق واحد؟!

لكن هناك فرق شاسع بين الإنسان صاحب الروح العاقلة، والمتجاوز لذاته، والمتطلع إلى المطلق واللانهائى، والذى سيخضع للثواب والعقاب بسبب صوت الله فى داخله، والروح العاقلة التى يتميز بها.. فرق شاسع بينه وبين الحيوان الذى نفسه فى دمه، يموت فينتهى كل شئ!!

إن كانت العين المجردة ترى لمسافة محدودة، وتحتاج إلى التلسكوب لترى الأجسام البعيدة.. كذلك العقل الإنسانى المحدود، يدرك المحدودات، ويحتاج إلى الإيمان، عطية الله، ليتعرف على غير المحدود.

"**الإِنْسَانَ الطَّبِيعِيَّ لاَ يَقْبَلُ مَا لِرُوحِ اللهِ لأَنَّهُ عِنْدَهُ جَهَالَةٌ.. وَأَمَّا الرُّوحِيُّ فَيَحْكُمُ فِي كُلِّ شَيْءٍ**" (١كو ٢:١٤-١٥).

٩- بين الانتماء.. والعولمة

هناك توازن مطلوب فى هذا المجال أيضًا، فالعولمة - رغم كل ما تحمله لنا من سلبيات - فيها إيجابيات كثيرة وهامة. والإنسان المسيحى، شعاره المستمر هو "**امْتَحِنُوا كُلَّ شَيْءٍ، تَمَسَّكُوا بِالْحَسَنِ**" (١تس ٥:٢١).

العولمة معناها ببساطة.. أن العالم كله أصبح كتلة واحدة أو سبيكة واحدة، من حيث ثورة المعلومات والاتصال، فلم يعد ما يحدث فى قرية صغيرة فى أى دولة، خافيًا عن

الإعلام العالمى. لذلك أصبحنا نسمع الآن عن "**القرية العالمية**"، أو عن "**الحجرة العالمية**" بمعنى أن العالم أصبح مثل قرية صغيرة، أو حتى حجرة صغيرة، تستطيع أن تحّس بكل ما يجرى فيها، فى ثوان معدودات، ليس فقط بعد أن يقع الحدث، ولكن فى أثناء وقوعه فى كثير من الأحيان.

العولمة (Globalization) - إذن - هى التأثير والتأثر المتبادلان بين أصغر بقعة فى العالم، والعالم كله، سواء على المستوى السياسى أو الاقتصادى أو الثقافى. أى حادث إرهابى فى قرية، سيذاع فورًا على شبكات الاتصال التليفزيونى (CNN) أو شبكة الإنترنت، ويمكن أن تكون له ردود فعل على مستوى العالم كله. لذلك سوف يستحيل على أى دولة أو جزء من دولة أن تتخذ أى قرار سياسى بمعزل عن التأثيرات العالمية المصاحبة والتابعة لهذا القرار.

وعلى المستوى الاقتصادى هناك إتفاقية الجات، التى فتحت الحدود بين الدول، وألغت بعض حواجز الجمارك، بحيث معها تضطر الدول أن نفتح الباب لسلع مستوردة، فيها مثيل لهذه السلع، لكن الشركات الدولية العملاقة، من خلال "الجات" تستطيع إغراق الأسواق المحلية، بمنتجاتها الأفضل والأرخص - ولو مؤقتًا - مما يؤدى ذلك إلى تدمير الناتج المحلى.. وبعد ذلك ترتفع الأسعار فى احتكار خطير!! ماذا عن مصانعنا؟ وعمالنا؟ ومنتجاتنا؟ وتصديرنا؟.. أمور تصبح عسيرة، وفيها نجد التحدى الواضح، الذى يجبرنا حتمًا على تحسين منتجاتنا، وضبط أسعارها بحكمة، وإلا أكلها أخطبوط الجات.

وعلى المجال الثقافى، سوف تسود "**ثقافة كوكبية**"، من خلال شبكات البث والإنترنت، وتحمل إلينا ملامح أسلوب الحياة الأمريكية، الذى كثيرًا ما يختلف عن أسلوب حياتنا، وتقاليدنا، ومبادئنا.. سواء من جهة الأخلاق أو حتى من جهة المأكولات والمشروبات والملابس. وحتى على المجال القومى والوطنى، هناك خطر ذوبان الهوية الوطنية، داخل فيضان الهويات الأخرى، أو الأسلوب الغربى.. فلا يعود شبابنا بعد معتدًا بمصريته، فخورًا بتاريخه وحضارته وجذوره، ويذوب فى أساليب وأنماط الحياة الغربية.

نعم.. هناك مخاطر.. مما يستدعى تأصيل أجيالنا الشابة روحيًا، ودينيًا، وعقائديًا، وسلوكيًا، ووطنيًا، حتى نواجه هذا الوافد الطاغى. وبالطبع لا نقصد أن نصم آذاننا عما

يحدث حولنا، أو نحاول فرض القيود على شبكات البث، فهذا ضرب من المستحيل، بل علينا أن نعوّد شبابنا – بعد أن نؤصله روحيًا وثقافيًا – أن يختار الصالح من كل منجزات التكنولوجيا والاتصال، ويرفض الردىء فيها.

وما أكثر الصالح فى التكنولوجيا، وها نحن نرى ثورة عملاقة فى مجال التكنولوجيا، ويستحيل أن نتخلف عن هذه الثورة، لنحيا فى عزلة عن العالم، بل المطلوب هو التوازن والتفاعل مع الثورة الجديدة والمتطورة يومًا بعد يوم.. ومهمتنا تربية ضمائر شبابنا ليختار الصالح، ويرفض الشرير بمعنى: (Select and Reject).

١٠- بين الأنا.. والآخر

توازن آخر نختتم به هذا الموضوع، بين **الأنا والآخر**. فمادام العالم قد صار قرية صغيرة، والتداخل والتواصل والتفاعل والتكامل، أمورًا لابد من معايشتها، إذن، فهناك ضرورة للتعامل مع الآخر بروح طيبة.. ونقصد بالآخر، المختلف عنا دينيًا أو ثقافيًا أو اجتماعيًا.. ليس فقط بسبب التداخل العالمى، ولكن بسبب الفهم السليم للدين والحياة.

والآخر ليس عدوًا، بل هو أخى فى الإنسانية.. فنحن جميعًا أسرة إنسانية واحدة، جاءت من أب واحد هو آدم، وأم واحدة هى حواء. وجميع البشر خلقوا على صورة الله ومثاله، وفيهم بصمة القدير، وصوت الضمير، وأشواق الخير.

المسيحى يرى فى نفسه:

- **نورًا..** يجب أن ينتشر فى العالم "**أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ**" (مت ٥:١٤).
- **وملحًا..** يجب أن يملح الأرض بالطهارة "**أَنْتُمْ مِلْحُ الأَرْضِ**" (مت ٥:١٣).
- **وسفيرًا..** ينقل صورة المسيح للكل "**إِذًا نَسْعَى كَسُفَرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ**" (٢كو ٥:٢٠).
- **ورسالة..** يقرأها جميع الناس "**أَنْتُمْ رِسَالَتُنَا، مَكْتُوبَةً فِى قُلُوبِنَا، مَعْرُوفَةً وَمَقْرُوءَةً مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ**" (٢كو ٣:٢).
- **ورائحة ذكية..** يسعد بها الآخرون "**لأَنَّنَا رَائِحَةُ الْمَسِيحِ الذَّكِيَّةِ لِلَّهِ**" (٢كو ٢:١٥).
- **وخميرة صغيرة..** تخمر العجين كله "**أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ خَمِيرَةً صَغِيرَةً تُخَمِّرُ الْعَجِينَ كُلَّهُ؟**" (١كو ٥:٦).

والمسيحى يرى فى الآخر:

✝ أنه أخ فى الإنسانية. ✝ أو أخ فى الوطن.

✝ أو أخ فى الحياة اليومية. ✝ أو مسيح صغير.. فالكل خلقوا على صورة الله..

✝ والكل مدعوون إلى العودة إلى الصورة الإلهية التى خلقوا عليها، وذلك من خلال عمل الفداء والروح القدس.

✝ ففى أعماق كل إنسان، هناك نور داخلى، أو قبس إلهى، يحتاج أن نزيح عنه السواد، ليشرق من جديد.

والصحة النفسية، لها مؤشرات كثيرة، من ضمنها: قبول الذات، وقبول الآخر.. بمعنى أن يقنع الإنسان بعطايا الله له، ويطلب المزيد.. وأن يحب الآخر مهما كانت ضعفاته، لأنه هو أيضًا غير خالٍ من الضعفات. المسيحية تعلمنا تفاعل الحب، ونشر الخير، وتقديم الخدمة، وتوصينا: "**لِكَيْ يَكُونَ تَقَدُّمُكَ ظَاهِرًا فِي كُلِّ شَيْءٍ**" **(١تى ٤: ١٥)**، "**فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هَكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ**" **(مت ٥: ١٦)**.

فليعطنا الرب نعمة ومعونة لنحيا هذه التوازنات المطلوبة فى القرن الجديد، شهادة لمسيحنا، واهتمامًا بخلاصنا، وصولاً إلى أبديتنا السعيدة المرتجاه.